



بَيْتُ الْغَنَمِ
محمد عبد الباسط

اسم الكتاب: بيت الغنم

الكاتب: محمد عبد الباسط

الترقيم الدولي: 6-030-800-977-978

رقم الإيداع: 2015 / 27067

تصميم الغلاف: محمد جمال

تدقيق لغوي: سارة صلاح

مدير النشر: فتحي المزين / 01282288056

مدير التوزيع: منال المزين / 01270982908

دار ليان للنشر والتوزيع

شارع التحرير بالدقي، بجوار محطة مترو البحوث، الدور 19، شقة رقم 2002.

layanpub@yahoo.com>Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر



وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية
يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب
خاصة بالكاتب فقط لا غير.

بَيْتُ الْغَنَمِ

رواية

محمد عبد الباسط



إهداء

إلى أمي..

كل شيء وصانعتي



الفهرس

- 9 - خيالات وأباطيل أصابته باضطرابات وشك
- 26 - كادت أن تودي بعقله
- 35 - لكنه استطاع أن يتجلّد بالصبر والإرادة
- 51 - فابتدأ برحلة
- 78 - حتى كاد أن يصل
- 93 - ونجحت التجربة فكادت أن تفشل بانفجار
- 113 - مازالت آثاره بادية
- 126 - وسذاجة مهلكة
- 134 - أفضت إلى صفقة قبيحة
- 140 - كانت هي الشرارة الفعلية للبدء



خيالات وأباطيل

أصابته باضطرابٍ وشكٍّ

"هل تفهمون شيئًا مما قلت؟ أعتقد لا كالعادة. يا إلهي كأني لا أتعلم أبدًا، فأنا دائمًا ما أبديد وقتي معكم، لقد سئمت من التحدث هكذا دون جدوى أو طائل، فأنتم كالجماد لا تستجيبون لحديثي أبدًا، ومع ذلك فأنتم أعز ما أملك.

كان "أنس" دائم الحديث مع أغنامه، لم يعمل عملاً طوال حياته سوى رعي الغنم.

بلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا قضى جلّها في رعي الغنم. حياته كلها كانت تحمل من العوائق والصعوبات أكثر مما يتحمّله شاب في مثل هذا العمر؛ فلم يجد بُدًا من مفارقة المدرسة بمجرد حصوله على الشهادة الثانوية ليعتني بإخوته. ليجد نفسه أمام حمل ثقيل تنوء به الجبال بعد أن ألقي على عاتقه مسؤولية إخوته إثر وفاة والديه في حادث سيارة وهو في سن الرابعة عشر.

لكنه استطاع أن يقوم بهذا العبء مستلهمًا الصبر الذي فاء به من رعيه الغنم.

ترعرع الأخوان في كَنَف أنس بعد أن أحاطهما برعايته الفياضة التي لا تنضب حتى استطاع أن يُغْنِيَهُمَا عن والدهما فبذل كل ما يملك في سبيل تربيتهما وتهذيبهما، حتى تنازل عن إتمام تعليمه ليحصل على أعلى الشهادات والدرجات العلمية إيثارًا لهما على نفسه فأصبح كالوالد لهما يرعاهما ويعتني بهما إلى أن بلغت فاطمة من العمر ثمانية عشر عامًا. بينما محمود ستة عشر عامًا.

لم يكن يشغله شاغل عن هدفه الرئيسي من رعاية أخويه وتوفير كل احتياجاتهما عن طريق رعي الأغنام التي تركها له والده بجوار قطعة أرض كان يزرعها ويرعى فيها الأغنام لتكبر ليبيع ألبانها ولحومها لينفق عليهما. جميع أيامه متشابهة لا تكاد تخلو من رتابة. يستيقظ مع مطلع الفجر حتى ينطلق مع بزوغ الشمس لرعي الغنم ليعود وقت الأصيل هكذا كل يوم.

دائم التأمل والتفكير طوال الوقت شارد الذهن، مستغرق في أحلام اليقظة. كثير الاطلاع تَوَاقًا للمعرفة نَهَمَ لقراءة الكتب، يقضي جميع أوقاته في القراءة والاطلاع بينما يرضى الغنم؛ فقد أصبحت هي سلوته وزاده في وحدته بعد أن فقد أبويه حتى أغنته عن كل ما عداها فأصبح كل همه الشاغل تحصيل العلم. اطلع على علوم كثيرة من أدب وفلسفة وغيرهما، لكنه أبدى شغفًا شديدًا بالعلوم البحتة والتطبيقية وأصبح متيمًا بالاكشافات والاختراعات الحديثة التي كانت تأسر لَبَّه حتى ود أن لو عاش ألف عام ليرى ما ستجود به البشرية من تقدم وتطور.

دائمًا ما تتردد على ذهنه أسئلة ذات طابع فلسفي، كثيرًا ما كانت تصيبه باضطراب وحيرة حتى تركه عمها هائمًا على وجهه يتجول في أحاديث وتلايف عقله حتى يذهب كل مذهب ثم تأبى نفسه إلا أن يعود على غير هدى، حتى كاد أن يصاب عقله بتشوش واختلاط. لم يستطع أن يجد لها جوابًا بآنا يشفي ما يعتور في عقله من اضطراب وشك. لكن السؤال الأهم الذي ارتبق في حبال عقله حتى كاد أن يصيبه بدنف، ظن أن ليس معه شفاء إلا أن يلهم بجواب يُبرؤه من سقمه. لا يكاد يمهل عقله من الوقت ليستكين مطمئنًا حتى يرتد هذا السؤال إلى ذهنه في صورة أشد ارتباكًا. فلم يجد بُدًا من إطلاق العنان لخياله لعلّه يجد إجابة تخلصه مما علق بعقله. أما السؤال الذي أصابه بسقم لم يستطع أن يُشفى منه إلا بعد أن اهتدى إلى ضالته حتى استراح قلبه وسكن عقله وهدأت جنانه فبدأ يعيش مطمئنًا قريح العين.

ما هو المعنى والمفهوم الدقيق للحياة؟ وما المغزى من الوجود برمته، وما الحد الفاصل بينه وبين العدم، وهل وجود العدم ينفي صفته، ولماذا خلقت في النهاية؟

أيعقل أن أولد بهذه الصورة المعقدة المعجزة ثم أموت هكذا ببساطة؟ هل هذا فقط ما ينبغي عليّ فعله طوال حياتي؛ أرعى الغنم ثم أموت؟ هل يأتي الإنسان إلى الدنيا بهذه الصورة المعقدة فيما يشبه المعجزة لتتمخض عن إنسان فقط كل وظيفته رعي الغنم؟!

لكن سرعان ما يلجمه عقله ويدبّره بأهمية ما يفعله؛ فهو لا يرعى الغنم فقط لكنه يقوم بما هو أسمى وأجلّ فهو يتكفل بأخويه، يرعاهما ويقوم على شئونهما. وبدأ يتساءل: أليس هذا كافيًا لأحيا من أجله؛ أن أبذل حياتي

من أجل حياتهما، ألا يجعل هذا قيمة لحياتي؟ ألا يُخلف ذلك ثمرة تعود على الجميع بما فهم أنا؟

وبدأ يتجادل مع نفسه: انظر لو لم يكن هناك أغنام، ماذا سيكون حال إخوتي؟ أليست هي السبب في أن نحيا جميعًا حياة كريمة؟ أليس رعي الغنم جديرًا بأن أفني حياتي في سبيله؟ لكن لم يُروَ ظمؤهُ بمثل هذا.

ثم عاد إلى تساؤلاته مرة أخرى، إذا كانت فائدة الغنم تعود بالنفع عليّ وفائدتي تعود بالنفع على إخوتي وفائدة إخوتي تعود بالنفع على غيرهم؛ فما فائدة أيضًا حياة هؤلاء جميعًا؟ وعلى من يعود نفعهم في النهاية؟ وما الهدف من الحياة برمتها من الأساس؟ وما الهدف من خلق البشرية؟

أليس في خلق الإنسان بهذه الصورة آية من آيات الله؟

وإذا كان الإنسان في حد ذاته آية ومعجزة. ألا ينبغي أن تأتي المعجزة بمثلها؟ كيف يُعقل أن يولد الإنسان بهذه الصورة المعقدة المعجزة ثم يموت كأنه هباء؟ فهل هناك سر وراء خلقي بهذه الصورة.

أمدته القراءة والإطلاع بكثير من المعلومات فاتسعت مداركه وتفتحت قريحته حتى صار على دراية واسعة بكثير من العلوم، كان على معرفة كبيرة بمعظم العمليات الحيوية التي تتم داخل جسم الإنسان وأطوار خلقه من بداية التقاء الحيوان المنوي مع بويضة المرأة لتكوين الزيجوت حيث يحمل 23 زوج من الكروموسومات ملتفة حول بعضها تشغل حيزًا أقل بعشرة آلاف مرة من طولها منسدلة؛ بحيث لو انبسط ال 23 زوج لجميع خلايا جسم الإنسان على اعتبار أن عدد خلايا جسم الإنسان 100 تريليون خلية بحيث توضع على امتداد بعضها لوصلت إلى الشمس ذهابًا وإيابًا 300 مرة مع الأخذ في الاعتبار أن المسافة بين الأرض والشمس تُقدَّر ب 150 مليون

كيلو متر وتتكون هذه الكروموسومات من خيوط دقيقة تحمل المادة الأساسية المسماة بالحامض النووي (الديوكسي ريبوز)؛ حيث تتجمع هذه القواعد مكوّنة وحدات متسلسلة تسمى الجينات تحمل الشفرة الوراثية للكائن الحي. ثم ينقسم الزيجوت إلى خلايا عديدة وهو في قناة فالوب متجهًا إلى جدار الرحم لينغرس فيه؛ حيث تشبه دودة عالقة. وتذكر قول الله تعالى "ثم خلقنا النطفة علقة". تبدأ هذه العلقة في الانقسام حتى تتمايز إلى أنسجة على شكل مضغة "فخلقنا العلقة مضغة" تبدأ المضغة في النمو سريعًا حتى تبدأ ظهور كتل بدنية تسمى "فلقات" لتتمايز إلى أعضاء وأطراف ليبدأ ظهور العظم "فخلقنا المضغة عظامًا" ثم يغطي العظام باللحم "فكسونا العظام لحمًا" ليكتمل الجنين بعد 9 أشهر ليصبح طفلاً "ثم أنشأناه خلقًا آخر" ثم يخوض رحلة الولادة ونزوله من الرحم لتبدأ رحلة حياته بأطوار تشبه رحلة الجنين داخل الرحم "ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخًا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلًا مسمى" ليعيش إلى أجلٍ محدد إلى أن يموت ثم لم يعد شيئًا يُذكر كما كان من قبل. هل هذا كله عبث؟ أيعقل هذا؟ وما هو سبب الوجود بهذه الصورة؟

لما كان الإنسان معدومًا قبل أن يولد ثم يصير معدومًا بعد أن يموت؛ فما هو المغزى من وجوده بين العدمين؟ فكّم من خَلَقَ وَلَدَ ثم قَضَى كَأَن لم يكن لم يذكره أحد؟ فالكرة الأرضية تعج في القرن الواحد والعشرون ب 7 مليار إنسانًا سيختفي معظمهم بعد 80 سنة إن لم يكن جميعهم عدا المعمرين، ولن يبقى منهم أحد بعد 120 سنة تقريبًا؛ حيث سيتوالد 7 مليارات إنسانًا جديدًا أو ربما يزيد. فأين يذهب كل هؤلاء البشر؟ ومن أين أتوا قبل أن يُخلقوا؟ وأين كانوا قبل وجودهم، وهل تتخلق كل هذه الأعداد سُدى؟

ناهيك عن بقية الخلائق من نبات وحيوان حيث تبدو وكأنها خلقت من أجل الإنسان.

أليس بمقدور الإنسان لما كان له إرادة أن يأتي بما يقابل هذا الإعجاز في خلقه؟ ألا يدل كل هذا التقدم التقني والتكنولوجي الهائل في هذا القرن بجميع مجالات العلم على قدرة الإنسان على الإتيان بالمعجزات؟ ألا يكفي هذا التقدم لإثبات أن الإنسان لم يُخلَق هباءً ولا عبثاً؟ وأن ما صنعه البشر بأيديهم وما وصلوا إليه من تقدُّم يؤكد على أن وجودهم المعجز ذات قيمة، وبأنهم لم يُخلقوا باطلاً أو سُدى؟

لم يكن يتوقف عقله لحظات عن التأمل والتدبر في هذه الأسئلة التي يريد أن يشفي نفسه بإجابة تُطفي ما يتقد في عقله وقلبه من اضطرام وشك. ثم ماذا بعد الموت؟ هل تنتهي الحياة أم تبدأ الحياة الحقيقية؟ وإن كانت النهاية هي الموت فما مغزى هذا الكون؟ وما مغزى وجودي و ما مغزى هذا الإعجاز في خلقي؟ وما مغزى هذا الإعجاز في كل ما تقع عليه عيني؟

إذا كان الموت هو نهاية الحياة، فهل هذا كله هباء؟ أم أن هناك حياة بعد الحياة؟ هل يُعقل أن يكون الإنسان- وما يحويه من أجهزة وأعضاء عظيمة معقدة يتكشف عنها الجديد كل يوم ولم يصل العلم إلى منتهاه بعد حتى يقف الإنسان إجلالاً من دقة صنعته- عَرَضاً؟. أيعقل أن يكون هذا الكون الهائل - وما يحويه من كواكب لا يستطيع العلماء تقدير عددها حتى قالوا بأن الكون يحوي عددًا من الكواكب لا يمكن عدُّه ونجوم تكاد أن تُحصى بصعوبة في مجرة درب التبانة أو الطريق اللبني فقط بحيث تقدر عددها في المتوسط 200 مليار نجمًا، ناهيك عن تقدير عدد المجرات في الكون ب 100 مليار مجرة؛ معنى ذلك أن متوسط عدد النجوم في الكون هو رقم خيالي يفوق العدَّ، وبحسبة بسيطة فإن متوسط عدد الكواكب في متوسط عدد

النجوم في المجرة في متوسط عدد المجرات في الكون نجد أنه رقم واحد وأمامه 33 صفر (10^{33}) وهذا الرقم يطلق عليه سنكليار مع الأخذ في الاعتبار أن هذا العدد قابل للزيادة إلى أضعاف مضاعفة لا يمكن أيضاً توقعها حسابياً في حال استطاع البشر التوصل لطرق أفضل لرصد النجوم والمجرات على الأطراف الأخرى للكون إذا كان هذا التخيل أيضاً صحيحاً؛ بأن للكون نهاية وبالتالي طرف آخر وعلى افتراض أيضاً وجود كون واحد - نتيجة الصدفة؟ إذا كان كل هذا نتيجة الصدفة البحتة أليس من المعقول أن يفنى كل هذا أيضاً بطريق الصدفة؟ من المستحيل أن يكون هذا كله عرضاً أو مصادفة. ولكن لا بد لهذا النظام البديع المهر من حكيم مدبر مسير له؛ فهذا الخلق وهذا الكون بهذه الصورة وبهذه البنية يتحدى العشوائية والصدفة.

ظلت هذه الأسئلة تتقاذف في ذهن أنس حيناً بعد حين ذاك النهار لا تترك فرصة لعقله يهدأ لحظة من الزمن، وبعد هذا التيه العظيم في عُبَاب الأسئلة واصطخاها بين تلافيف وأتلام الدماغ انتبه لاشتطاط أغنامه فهمً لجمعها مرة أخرى بينما كانت الشمس تلوح في الأفق الغربي. أخذ أغنامه وانصرف قافلاً إلى البيت.

وفي صبيحة اليوم التالي، ذهب إلى الحقل ومعه غنمه ليرعاها كعادته، وما إن جلس تاركاً غنمه ترعى حتى ماج عقله بِعُبَاب ما اعتوره من تساؤلات وعاوده ما كان يُعتمَل في عقله بالأمس.

لما اهتدى إلى أن لهذا الكون حكيماً مدبراً مسيراً له لفحته حرارة على أثر رعشة جعلته يُطرق رأسه ممسداً شعره بأنامله متسائلاً إذاً فماذا عليّ أن أفعل؟ فقد أمرني مدبر هذا الكون بعبادته وتذكّر قوله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" هل هذا فقط ما ينبغي عليّ فعله؟ فقط أتيت

للعبادة؟ وكأنه استقل ذلك. وتساءل وما فائدة العبادة وحدها؟ فقد خلق الله الملائكة دائبة على عبادته ليل نهار. قال تعالى: "يسبحون الليل والنهار لا يفترون" " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" فهم عالم من الطهر والنقاء والصفاء، وعلى الرغم من أنهم يعبدون الله أكثر من أتقى إنسان على وجه الأرض إلا أن الله فضّلنا عليهم؛ إذًا فالعبادة ليست هي الفيصل؟ وإلا لما فضلنا عليهم؟ الفيصل هو أن الله خلقنا وأعطانا إرادة حرة لنختار أي الطرق سنسلكها ثم بعد ذلك سيكون الجزاء. بخلاف الملائكة المجبولين على الطاعة وعدم المعصية فلا يتأتى منهم غير ذلك.

لم يكتفِ عقله بذلك، وما إن بدأ يسكن حتى باغته بسؤالٍ عاصف: ألا ينبغي عليّ أن أفعل شيئًا بجانب العبادة؟ لكن سرعان ما انتبه وزجر نفسه وهدبها بعد أن ذكّرها بقول الله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون."

ولكن أبى عليه عقله أن يرتدع أو يزجر وأخذ يتابع ما الضير في أن أطمح في فعل شيء مع العبادة يعود نفعه على البشرية. إذا كانت عبادة الله جزاؤها لي وحدي إذًا فأنا فقط المنتفع منها. أريد أيضًا أن ينتفع الناس من عملي. وبعد أن أسهب في التفكير والتدبر اهتدى إلى أن ما يفعله ليعمّ نفعه على البشر هو أيضًا يدخل ضمن دائرة عبادة الله ولا تناقض بينهما وبالتالي إفادة البشرية يعود أيضًا بالنفع عليه إذًا فلا يوجد تعارض. وتذكر قول الله تعالى "وما تنفقوا من خير يوفّ إليكم" والإنفاق هنا ربما يكون بمعناه الأوسع وهو البذل والعطاء في أي وجه من وجوه الجود والإحسان مما وهبنا الله من خيرات وربما لا يقتصر على المال فقط "وما تنفقوا من خير فلأنفسكم" "وما يفعلوا من خير فلن يكفروه" أي لن يضيع عند الله بل سيجازيكم به أوفر الجزاء وجاءت كلمة خير نكرة حتى تشمل أي خير كان حتى إذا فعل الفرد

خيرًا ليستفيد منه الإنسان فسيرتد إليه خيرات قال تعالى: "والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير مردًا" وفي الأثر "إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمله قالوا: وكيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح قبل موته"

إذًا فكل فعل سيستفيد منه البشر سيعود بالنفع على صاحبه أيضًا. وعضد ذلك بما قفز في ذهنه من بعض الآثار النبوية التي كان قد قرأها أثناء اطلاعاته وبحته بين ثنايا الكتب. "خير الناس أنفعهم للناس" "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل" "إن لله عبادًا اختصهم لقضاء حوائج الناس حبهم للخير وحبب الخير إليهم" حتى استشعر كأنه المخاطب بهذه الآثار.

وهنا اهتدى بعد لأي جهيد كاد أن يمزج مادة عقله البيضاء بالخضراء حتى لتصير سائلًا مانعًا يرتج بين عظام رأسه إلى وجوب تأدية ما عليه من أوامر وواجبات لإيمانه بأن بعد الموت حياة والقيام بهذه الواجبات كما أخبره الله سيكون جزاؤها له وحده.

أما إذا فعل شيئًا عظيمًا تجاه أمته بل تجاه البشرية جميعًا؛ فبذلك يكون قد أفاد البشرية كما نشد وحصل على أجر ما قدم من خدمة للإنسانية لدخوله أيضًا ضمن دائرة العباداة. وبالتالي فهو خيرٌ أعم وأشمل.

وأخذ يتساءل: يا ترى ما هذا الشيء العظيم الذي ينبغي عليّ تحقيقه ليعم نفعه على جميع البشر؟ وظلّ مشغولًا يفكر فيما يجب عليه إمضاؤه دون أن يهتدي إلى شيء! حتى كاد أن يملّ.

مرت بضعة أشهر وهو على هذا الحال في اضطراب وتفكير دائم يعز عليه تبديد حياته سُدى في سبيل رعي الغنم. وأيقن أنه إن لم يفعل شيئًا ذا قيمة فستنسل حياته شهرًا فشهرًا حتى ينتبه إلى داعي الموت آذنا بانتهاء أجله واقتراب منيته ليجلس باكيا على ما مضى من حياته بلا جدوى أو طائل دون

أن يحقق شيئاً مما يصبو إليه. فأطلق العنان لخياله لعله يحلم بشيء يستطيع تحقيقه. لكن ما هو هذا الشيء؟

وبينما هو مستغرق في أحلامه انتبه إلى نملة صغيرة الحجم تحمل من الزاد ما يتخطى حجمها ثلاث مرات تقريباً حتى أخذت بمجامع بصره فبدأ يتابع مسيرها وأبدى تعجبه كيف تستطيع أن تحمل أكثر من حجمها متمتماً سبحان الله ثم تساءل ألا تبذل هذه النملة الصغيرة في حياتها من الجهد أكثر مما يبذله الإنسان وبالتحديد أكثر مني؟ فأنا لا أحمل أي شيء على ظهري أبداً ولا يمسني لغوب أو مشقة أثناء ريعتي الغنم. ثم صاح زاجراً نفسه وا خجلتاه ينبغي عليّ أن أستحي من نفسي فربما أنا الكائن الوحيد الذي يعيش دون جدوى أو طائل.

وما إن لبث لحظات حتى اعترته وساوسه وأخلطه مرة أخرى وسرعان ما عاوده ما كان عليه من شرود وأحلام. ولم ينتبه إلا بعد فترة قصيرة من التيه بين خيالاته حتى عاد ببصره إلى النملة مرة أخرى ربما تعلم منها الكد والمثابرة فلعلها تسمو بهمته وتقوي عزيمته فراها لم تبتعد سوى شيء يسير فقط بضع خطوات؛ لقد استغرقت نصف ساعة لتقطع مسافة تقارب مترين وبدأ يتساءل: هذه المسافة أقطعها فقط في ثانية وبخطوة واحدة. أما النملة فقد استغرقتها نصف ساعة لقطع هذه المسافة القصيرة.

ثم اتجه بتفكيره وأخذ يعقد المقارنات بين هذا الكائن الصغير وبين الإنسان. هذا الكائن ينقل طعامه على ظهره بنفس الكيفية التي بدأ بها الإنسان لنقل متاعه في البداية. لكن الفرق أن هذا الكائن الصغير لم يتطور أو يتقدم قيد أنملة منذ خلقه بخلاف الإنسان. بالإضافة إلى أن الله حباه بالعقل فتميز عن باقي الكائنات. وهذا هو الفرق البين بيننا وبين بقية الخلائق.

فقد تطور الإنسان في استخدام وسائل النقل عندما بدأ بنقل الأشياء كالنملة على ظهره ثم استخدم الدواب وسخرها لحمل متاعه ثم استخدم السفن لشق عباب البحر لينتقل هو الآخر على ظهرها ثم انتقل إلى اختراع وسائل النقل الحديثة من سيارات وقطارات وغيرها حتى قفز إلى استخدام الطائرات والصواريخ عن طريق الجو. ولا ندري ماذا بعد ذلك من تقدم في وسائل النقل. هذا هو الفرق بيننا وبين بقية الأحياء فنحن قادرون على التقدم بما وهبه الله إلينا من عقل.

ومع هذا التقدم استطاع الإنسان نقل أشياء أكبر في وقت أقل حتى استطاع نقل سيارة بداخل طائرة أو سفينة واستطاع أن ينتقل بدوره إلى الطرف الآخر من الكرة الأرضية حتى تمكن من طي الأرض في بضع ساعات. لم يصل الإنسان لهذا التقدم الهائل في سنوات معدودة لكنها نتيجة تراكم العلوم والمعارف على مرّ العصور في أوعية لها من الوعي والبصيرة والإدراك ما مكّنا للوصول لهذه النقطة من التقدم والتطور، ولكن في السنوات القليلة الماضية بدأ ثمار هذا التراكم يجيش بكيمّ هائل من الاختراعات والاكتشافات أكثر من ذي قبل؛ بحيث تقدر كم المعارف والعلوم التي أدت إلى كل هذه الاكتشافات والاختراعات في العشر سنوات الأخيرة تعادل ما أتى به البشر من معارف وعلوم منذ البدء وربما سنصل إلى نقطة بحيث تقدّر كم المعلومات التي ستستحدث في دقيقة واحدة بما يعادل جميع المعلومات التي تراكمت منذ بدأ الخليقة وربما سيؤدي هذا لتناقص الزمن إلى ثانية واحدة أو أقل وسندخل في دائرة غير منتهية أو متخيلة من زيادة العلوم بالنسبة لتناقص الزمن فهل سيكون لذلك منتهى. هل كان أحد يتخيل في السابق أننا سنصل إلى هذه السرعة العجيبة في النقل؟ وهل يمكننا في المستقبل أن نصل إلى أسرع من هذا؟

ثم دارَ نقاشٌ بينه وبين نفسه كأنه سجال بين عقليْن منفصلين. دعي أوضح لك مدى التطور في وسائل النقل وقدرتها على الانتقال بهذه السرعة المتقدمة. تخيل أننا استطعنا إيقاظ ميّت من قبره مرّةً عليه 400 سنة تقريباً قابلاً بداخله بعد فناءه. وبعد أن أيقظته دعوته إلى جولة حتى تريه ما وصلنا إليه من تقدّم في شتى المجالات وقدرة العقل البشري على التطور والإبداع. ربما سيرمقك بنظرة لا تخلو من تقبّضٍ واشمئزاز نظير ما تسببت به من تشوش وإزعاج لكنه سرعان ما سيتدارك الأمر وينظر حوله لينتبه إلى أنك قد تنتشله من جحيمة أو تُحييه من مماته حتى ينتفض من سباته مُتَبِعاً.

وبينما تسيران معاً إذ مرت طائرة من فوقكما. فسألك هذا الزومبي مبدئاً دهشته ما هذا الطائر الذي لم أر مثله في السابق، لقد بلغ من الضخامة لم نعهد مثلها فقد كانت الطيور في الماضي أصغر من ذلك بكثير في حجم قبضة يدي تقريباً. هل حدثت طفرات وتغيرات أساسية للطيور حتى تسببت في مسخها لهذا الحجم؟ ستجيبه على الفور بأن ما يراه ليس طائراً كما يظن، ولكنها آلة نقل سريعة جداً تسير في الهواء تتخطى سرعتها 3000 كم في الساعة. وهذا الذي يظنه طائراً هو بالفعل طائر في الهواء، ولكنه ليس بطائر حي. ربما يبلغ طوله أكثر من 100 متر ويحمل من الأشخاص ما يقارب 500 شخص. ما إن يسمع الزومبي هذا التفنيد الظريف ربما تجده قد اختفى من حولك وسرعان ما تلتفت يمنة ويسرة باحثاً عنه ظناً منك بأنه ربما انقضى أو هرع إلى قبره ليتجده بجوار قدمك مستلقياً على قفاه من شدة الضحك.

بالتأكيد لن يصدقك هذا الزومبي المبتغى. وسيقول لك متمللاً بعد أن يفيق من نوبة الضحك التي أصابته جراء المزحة التي ألقيتها عليه. ما هذا الخطل الذي أصابكم أيها البشر المتحولون كيف يجلس البشر بداخل طائر

أني قد قَضَيْتُ في عالم من المجانين. لترسم على وجه أنس ابتسامة ذات مغزى.

أصابنا أنس رعشة سرت في أوصاله، انتبه على أثرها من حلم اليقظة. ليشعر بأثر الابتسامة بادية على وجنتيه وأخذ يتساءل لكن ماذا بعد 400 سنة من الآن كيف سيكون حالي؟ هل سيكون أشبه بصاحبنا الميت؟ يأتري ما مدى التقدم الذي قد يصل إليه البشر بعد هذه السنوات؟ هل ستكون معظم الأشياء من حولي غير قابلة للتصديق أيضاً؟ لماذا لا نستطيع أن نتفهم الطفرة والقفزة العلمية الهائلة في المائة سنة الأخيرة لماذا لا نرى ذلك إلا بعد لأي ونظر أو ربما قد نتفهمها عندما تزول فنحن كبشر أفطنا النسيان وعدم تقدير ما نملكه بأيدينا حق قدره إلا بعد فنائه. بالتأكيد لن يقف التقدم والتطور العلمي ما حَيَّيت البشرية.

وأخذ أنس يفكر في مدى تطور وسائل النقل بعد 400 سنة من الآن وإلى أي مدى سوف تزايد السرعة بالنسبة لتناقص الزمن، وهل ستسير مركبات النقل الحديثة آنذاك في مجالات ووسائط سيتم اكتشافها أو استحداثها أم سيتم تطوير وتعديل المجالات القديمة كالبر والبحر والجو، وكيف ستكون بنية وسائل النقل حين ذاك. وأخذ يتدبر ويتأمل كأنه يستشرف المستقبل حتى ومض برأسه سؤال محير: لماذا لا يمكننا الآن نقل الأشياء في وقت أقل؟ لماذا لا يمكننا زيادة سرعة وسائل النقل في هذه الحقبة، ما هي العقبة التي تقف في وجه هذا التقدم؟

في الماضي كانت أكباد الإبل تقطع مسافة ألف كيلو متر في ما يقارب شهرين من الزمن.

أما الآن فهذه المسافة تُقطع فقط في ساعتين بالطائرة.

يعني مسافة 1000 كم تُقطع فيما يقارب 5184000 ثانية. تم اختصار الزمن من شهرين إلى ساعتين (7200 ثانية) بنسبة 720 إلى 1. والآن إذا استطعنا نقل الأشياء في زمن 10 ثواني لمسافة 1000 كم ستكون نسبة اختصار الزمن من ساعتين (7200 ثانية) إلى 10 ثواني نفس النسبة تقريباً وهي 720 إلى 1. لماذا نتخيل أن اختصار الزمن من ساعتين إلى 10 ثواني مستحيل أو عسير بينما نستطيع اختصاره من شهرين إلى ساعتين؟ لأنه فقط مستحيل بعقولنا. ليتساءل أنس مسرعاً إذا كان العقل فقط هو ما يستصعب ذلك فهل يمكن تحقيقه على أرض الواقع؟ ثم انتكص قائلاً أعتقد لا فالأمر مستحيل. ليعاتب نفسه ها أنت ذا عدت لتقولي بأن هذا مستحيل في الحقيقة وليس فقط كما يظنه العقل كذلك، وتابع تساؤلاته لكن لماذا لا يمكننا تقليص الزمن إلى ثانية أو ثانيتين أو حتى أقل؟ بل لماذا لا يتم نقل الأشياء المادية في نفس اللحظة. وانتبه أنس لهذه الترهات ثم قال متممًا متأوِّهاً ما أبعد الوصول لهذه الأحلام فهي مستحيلة. وزجر نفسه على التفكير في هذا الهراء وافتر ثغره عن ابتسامة تشي بالسخرية حتى قال بصوت مسموع كأنما أراد أن يحذر نفسه من التمادي أكثر من ذلك في خيالاته وأباطيله أعتقد أنني أحاكي صاحبنا الميت. واستعد ليعود بغنمه إلى البيت بعد أن غابت الشمس في الأفق.

وفي صبيحة اليوم التالي أخذ معه كتاباً لعله يغنيه عن التفكير في هذه الترهات والأوهام التي لا تقدّم ولا تؤخّر. وفي هذه الأمانى الباطلة التي لن تتحقق سوى في خيالاته فقط. وما إن بدأ في قراءة الكتاب حتى اعتورته هذه الأوهام مرة أخرى فبدأ يدفعها عن عقله بينما هي مستميتة في محاولة التشبث به حتى كادت أن تصرعه كأن المادة الخضراء لقشرته المخية قد استحالت إلى ذرات من الوهم. فرفع الكتاب قبالة عينيه مستنجداً فربما

انتشله من هيمنة أوهامه، لكن سرعان ما ارتد ببصره إلى خيالاته وأباطيله فقد كان يرى فقط ما بداخل عقله حتى بدأت تسيطر عليه مرة أخرى فلم يجد بُدًّا من الاستسلام لها بعد أن نفذت طاقته في دفعها وأيقن أنه لا فكاك منها فنحى الكتاب جانبًا وأخذ يعدُّ نفسه ويؤمنها بالأباطيل والأسمار. حتى وإن كانت هذه أوهام فهي ممتعة. فماذا يضيرني أن أحلم؟ ثم وضع يديه خلف رأسه بعد أن شبك أصابعه ثم أسند ظهره إلى الأرض مضجعًا واضعًا إحدى قدميه فوق الآخر، وأطلق العنان لخياله يجوب به أينما شاء، وبدًا كأنه يستمتع بأوهامه.

هناك أشياء بالفعل في زمننا هذا يتم نقلها آلاف الكيلو مترات دون أن تستهلك وقتًا وتنقل في نفس اللحظة كنقل الصوت والصورة من خلال أجهزة البث والأقمار الصناعية؛ فنحن نستطيع مشاهدة مباريات كرة القدم التي يتم نقلها بطريقة البث المباشر من أي نقطة على وجه البسيطة فلماذا لا يمكننا نقل الأشياء المادية؟ ها أنت ذا قد أجبت لأنها مادية بخلاف الصوت والصورة فهما ليسا كذلك؛ فالصوت يتكون من موجات وترددات قادرة على التحرك في عدة أوساط مادية مثل الغاز والسوائل والمواد الصلبة ولا يمكنها الانتشار في الفراغ، أما الضوء فيتكوّن من حزم صغيرة تسمى فوتونات تصدر طاقة مشعة يشار إليها بأنها موجات كهرومغناطيسية، لكن السؤال الأهم لماذا استطعنا نقل الصوت والصورة لهذه المسافات البعيدة دون استهلاك وقت ولو لحظات ولا يمكننا نقل قطعة حجر بهذه الطريقة؟ فأجابته نفسه على الفور لأن العلماء تمكنوا من إنشاء مسارات خاصة أو بالأحرى اكتشفوها لهذه الموجات والجسيمات.. إذًا فالفرق هنا أنهما ليسا مواد حسية.

معنى ذلك أننا إذا أردنا نقل شيء مادي بهذه الطريقة فهناك مسلكان لا ثالث لهما: إما أن نقوم بتحويل الجسم المادي كقطعة الحجر إلى جسيمات أولية صغيرة قادرة على التحرك في صورة موجية وبالتالي سيكون من اليسير انتقالها من خلال نفس المسارات التي ينتقل من خلالها الصوت والضوء على أن يتم تجميع جسيمات أو ذرات قطعة الحجر مرة أخرى بعد إتمام عملية النقل. أما المسلك الآخر فهو العمل على إيجاد أو إنشاء مسارات خاصة - تحاكي المسارات التي تنقل الموجات - لنقل الأشياء المادية وكلاهما مستحيل. وتاه أنس وسط عباب واضطراب خلاياه النيرونية، وبدأ عقله في محاولات مضنية لتخيل ماهية هذه المسارات وأخذ يتساءل ما هي هذه المسارات التي يمكن أن تنتقل الأشياء المادية من خلالها؟ وما السبيل في الاهتداء إليها؟

ومرت عدة أشهر بينما هو منشغل في تخيل وتوسُّم طبيعة هذه المسارات دون أن يهتدي إلى شيء. فأيقن أن عملية الأفكار والتصورات التي تُفضي بالضرورة إلى تخيلات وتوقعات صحيحة وبالتالي تثمر عن نتائج مقبولة لا بد أن تُبنى على معلومات. والحصول على معلومات في هذا الزمن هو من السهولة بمكان؛ فقرر الذهاب إلى المكتبة ليكتفِّف البحث بين ثنايا الكتب والمراجع المتخصصة وليثير أغوار عالم المعرفة ليعرف أسرار المادة والكون والزمن.

* * *

كادت أن تودي بعقله

مرت عدة أشهر بينما هو منشغل تائه بين ثنايا الكتب يقلّب صفحاتها كأنه ضال ينشّد ضالته. كانت قراءته سرعان ما تمتزج بما يدور بعقله من أحلام وأباطيل تُلَم به بين الفينة والفينة ولم يشغله ذلك عن أن يتخلل قراءته العلميّة كثيراً من التدبر والتفكير. وذات مرة بينما هو مستغرق في التفكير والتأمل إذ استولت عليه فكرة استحداث وسيلة للنقل تختلف عن أقرانها وتحاكي في سرعتها نقل الصوت والضوء وبدأ يتخيل ماهية هذه المسارات حتى هُيأ إليه أن مسار النقل كأنبوب من الفراغ له نهايتان في مكانين مختلفين إذا استطعنا التحكم في مكان وزمان هذا المسار فسنكون بذلك قد خطونا شوطاً لا بأس به.

لكن ما السبيل في الوصول لإنشاء هذا المسار؟ وظل يكّد ويشحذ زناد عقله كدّاً حتى كاد أن ييأس إلى أن لمعت عيناه كأنه اهتدى إلى فكرة. وأخذ يتساءل لو استطعت تقريب نهايتي أنبوب الفراغ من بعضهما لتقصير المسافة بين طرفي المسار من الداخل عن طريق حني المكان وإيقاف الزمن لوصلنا إلى ما نصبو إليه. كانت هذه الفكرة التي التبست عقله كفيلة بأن تجعله يستقيم واقعاً وبدأ يتحرك في دوائر كأنما أصيب بمسّ وبدأ كأن هناك شيئاً يكاد

يتسرب من عقله وهو يتلوى محاولاً إيقافه. ولم يدر ماذا يفعل هل هذه تراهات وأباطيل تحيك في عقله يستحيل تطبيقها وأخذ يتساءل وهل سأسعى وراءها كالمُمرور دون جدوى أو طائل؟ أم تستحق المتابعة والمثابرة والبحث حتى لو أفنيت جميع عمري في سبيلها؟ وظل هكذا يدور حول أغنامه لا يقوى على الجلوس حتى بدأت الشمس تسير باتجاه الأفق الغربي منذرة بانقضاء النهار حتى بدأ يهدأ فجلس.

وأخذ يتساءل هذه الأفكار بعيدة المنال بل هي أضغاث أحلام، ثم قال لكن ما ضير أحلامي؛ فهي ممتعة لي على الأقل وإن لم يتحقق منها شيء كأنما خشي أن تذهب عنه لذة أحلامه ثم جمع أغنامه وعاد إلى بيت الغنم. وفي اليوم التالي لم تمهله هذه الأفكار لحظة حتى تلبست به فبدأ يتأهب ويستعد كأنها المنبع الذي يمدّه بالسعادة والمتعة الحقيقية. بدأ يتخيل هذه المسارات كأنها ماثلة أمامه وأخذ يصفها بدقة أكبر وبدأت تتضح في مخيلته عن ذي قبل.

وأخذت نفسه تحدّثه: افترضنا أن نهايتي المسار كفجوتين في مكانين مختلفين تبعد كلٌّ منهما عن الأخرى مسافة 1000 كيلو متر. إذا استطعنا تقريب المسافة بين الفجوتين داخل المسار إلى نصف متر عن طريق حني المكان وإيقاف الزمن على أن تكون المسافة بين الفجوتين خارج المسار ما تزال ثابتة 1000 كم ربما قد نصل إلى المسار المنشود.

لكن ما هو الزمن اللازم لنقل جسم مادي أقل من نصف متر؟!

وما المطلوب لإنشاء مثل هذا المسار وكيف يمكن حني المكان وبأي وسيلة؟

ومن بين شظايا المعلومات التي كان يحوزها أنس من قراءاته المتفرقة افترض أنه يلزم الحصول على طاقة ربما تكون غير موجودة في الكون، بل هي بالفعل غير موجودة.

وبدأ يتساءل: ما مقدار الطاقة القادرة على حني المكان وإيقاف الزمن لإنشاء المسار المنشود وبدا ساهماً كأنما انشغل بحلٍ لغزٍ ثم صاح: يا إلهي هذه الطاقة المطلوبة لإنشاء المسار ربما تفوق الطاقة الناتجة عن انفجار مليون قنبلة نووية في وقت واحد وحتى لو افترضت جدلاً أنني استطعت الحصول على هذه الطاقة العظيمة فما السبيل إلى التحكم بها؟ وما هو المصدر الذي سيمدني بهذه الطاقة الهائلة؟! ثم قال لنفسه زاجراً: أعتقد أنني قد تخطيت الحدود حتى في خيالاتي.

مرت ثلاثة أشهر وهذه التخيلات والأفكار تتقافز إلى ذهنه واحدة تلو الأخرى حتى بدأت تتلاشى من مخيلته شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت؛ فالأمر مستحيل فمن أين يحصل على هذه الطاقة الهائلة؟ وكيف يمكنه التحكم بها؟

وبعد مرور عدة أشهر بينما كان يرمى الغنم كعاداته إذ أخذته سنة من النوم حتى غربت الشمس ولم ينتبه إلا بعد حلول الليل فاستيقظ فزعاً على أغنامه من أن تشرّد أو يفترسها ضارٍ، ونظر حوله فوجد الغنم كاملة العدد لم يصيبها مكروه فتهند مستريحاً حتى استلقى على ظهره ليستفيق ويستعيد نشاطه ليأخذ الغنم ويعود إلى البيت.

وبينما هو كذلك أخذ يجول ببصره في السماء، ينظر في النجوم ويتعجب من ثنائها الأخاذ بينما تزين السماء كأنها جواهر براقّة تُرصع صدر السماء في قلبها درة القمر فاختلج إحساس بسعادة من روعة هذه الصورة الخلابيّة، وبينما هو كذلك إذ أخذ ببصره شهاب أضواء فجأة في كبد السماء يتحرك بسرعة عالية وكأنه مطارد أو لعله يطارد شيئاً غير مرئي. وبعد لحظات انفجر هذا الشهاب واختفي دون أثر كأن لم يكن.

ابتهج أنس وداخله السرور بما رآه، واعتبره علامة لتحفيزه وحثّه على أن يكمل ما بدأه.

لم يستطع تفسير ما شاهده ومالذي كان يتحرك بهذه السرعة ولماذا انفجر في النهاية مخلِّفاً هذه الهالة المضيئة؟ وتملّكه شعور قوي بأن هذه إشارة له؛ فعلم أن الوقت قد حان ليبدأ في تحصيل وجمع العلوم على مستوى أعمق ربما استطاع الإجابة على هذه الأسئلة التي تتقاذف إلى ذهنه من حين إلى آخر.

ذهب أنس كعادته إلى المكتبة الملحقة بمدرسة القرية لعله يجد مرجعاً أو كتاباً يختص بعلم الفلك ليستطيع تفسير هذه الظاهرة التي رآها. وبعد عناء بحث لم يجد سوى كتيب صغير يتكلم عن حركة الأجرام السماوية ونظام المجرات التي تتكون من تجمع هائل من النجوم والغبار والغازات والمادة المظلمة، واهتم هذا الكتيب بجانب كبير بما يسمى بالثقوب السوداء فداخله الفرح والسرور بعد أن اقتنى هذا الكتيب وشرع على الفور بقراءته حتى تملّكه العجب من المعلومات المدهشة التي وقع عليها فبدأت تثير عقله حتى أصبح كقدر يغلي من شدة انفعالاته فبدأ يطلب المزيد ووقع على معلومات لم يتقبلها عقله للوهلة الأولى لكنها أصبحت حقائق علمية ثابتة فأيقن بأن أمامه الكثير ليحصل على معلومات تشبعه وتسد رمقه.

قرأ أن درجة حرارة سطح الشمس تصل إلى 5800 كلفن، بينما تبلغ حرارة باطن الشمس 15 مليون كلفن ناتجة عن تفاعلات نووية تحدث داخل الشمس نتيجة تصادم البروتونات ببعضها.

بدأ أنس يتذكر هذه المصطلحات كالبروتونات والنيوترونات والإلكترونات وبنيّ الذرة التي درسها في المرحلة الثانوية وبدأ مغتماً واجماً كأنما يندب حظه

في انقطاعه عن إكمال الدراسة فللأسف لم يلتحق بالجامعة لشدة فقره وإيثار إخوته على نفسه.

وأخذ يتابع القراءة؛ فعلم أن ناتج هذا الاصطدام نواة ديوترون وإلكترون يحمل شحنة موجبة يسمى بوزيترون، وسرعان ما تذكر أن الإلكترونات تحمل شحنة سالبة، فظن ذلك خطأً مطبعياً وما إن أكمل حتى تبين له أن الإلكترون الذي يحمل شحنة موجبة هو بالفعل حقيقة قائمة يسمى بوزيترون ويطلق عليه نقيض أو ضد الإلكترون. وبدأ يتابع القراءة بنهم، فعلم أن الشمس قد بلغت من العمر حوالي 4.5 مليار عام يتوقع العلماء أنها في نصف حياتها يعني أنها ستعيش ما يقارب 9 مليارات سنة؛ فهي ما زالت في مرحلة الشباب.

أخذ أنس يتجول بين صفحات الكتاب حتى وصل إلى فصل يتحدث عن ما يسمى بالثقوب السوداء وقرأ معلومات أعجب من الخيال لكنها أصبحت أقرب إلى الحقيقة؛ فهذه الثقوب سوداء مستترة لا ترى ولا ترصد ولا تصدر عنها معلومات بطريقة مباشرة ولا يمكن التعرف عليها إلا بتأثيرها على الأجرام المجاورة لها من مادة أو نجوم فهي تجمّع للمادة عظيم. حجم بيضة من هذا الثقب يعادل وزنها وزن الكرة الأرضية ذات جاذبية هائلة قادرة على التهام الكتلة والمادة وابتلاع سحب الغاز والنجوم في مراكز المجرات حتى الضوء لا يستطيع الإفلات من جاذبيتها؛ لذلك فهي سوداء معتمة وقد تكون من أقوى مصادر الطاقة في الكون.

يعتقد العلماء أن نهاية الحياة على سطح الأرض ربما تكون من خلال ثقب أسود فهذه الثقوب قادرة على طي السماء طياً من قوة جاذبيتها حتى إن الزمن يتوقف عند حافتها وينحني المكان من حولها.

وتذكر آلة النقل التي كان يحلم بها وأخذ يقلب أفكاره وبدأ خياله يجمع مرة أخرى بعدما ثُبط في الشهور الماضية فلم يكن هناك حدٌ للخيال حتى يتوقف. وأخذ يتساءل كيف يمكن الحصول أو حتى التحكم في مثل هذه الطاقة فرفع رأسه إلى السماء وبدأ يرمقها بنظرات فاحصة كأنما أراد أن ينطلق في الفضاء آملاً في أن يتحكم ويطوي هذه الطاقة بيده ويسخرها كيفما شاء ثم قال متمتماً ربما سأضع أول خطوة على طريق إنشاء الآلة التي أحلم بها ثم انتكص قانئلاً ما أبعد هذه الطاقة عن يدي؟ ووجم قليلاً ثم عاد لكن لماذا أظنها بعيدة المنال لقد استطاع الإنسان بما حباه الله من عقل أن يطوع ويذلل الصعاب التي تقف أمامه حجر عثرة واستطاع أن ينطلق بمركباته الفضائية بعد أن بذل جهده في سبيل إنشائها ليجوب في أنحاء السماء مكتشفًا وباحثًا عن أسرار الكون، لكنه مازال يقف عاجزاً حتى عن تخيل هذه الطاقة الهائلة الناتجة عن التفاعلات داخل النجوم؛ فالأمر يحتاج إلى جهدٍ ومشقة وتعاقد بين العلماء ليستطيعوا الوصول إلى أبعد من هذا في طريق المعرفة.

قرر أنس أن يتوسع أكثر في قراءته حتى يعرف أكثر عن أسرار الكون فبالتأكيد هناك مصادر أخرى للطاقة العظيمة في الكون.

فقرر الذهاب إلى مكتبة تحوي من الكتب المتخصصة والمتشعبة في مجالات الطاقة وأنواعها فربما يجد ضالته المنشودة بدلاً من المكتبة الصغيرة الملحقة بمدرسة القرية التي اطلع على معظمها ولا تحوي سوى كتب ثقافية عامة لا تروى ظمأه ولا تسد رمقه.

وفي اليوم التالي قبل غروب الشمس بساعة ذهب بالفعل إلى المكتبة الكبيرة في محافظته حيث تبعد عن القرية 20 كم تقريباً، وكانت هذه المرة الأولى التي يترك فيها الغنم هكذا دون مرعى.

وعندما وصل أنس، سأل أمين المكتبة عن كيفية البحث عن موضوعات معينة في هذه المكتبة الضخمة؛ فربما استغرق شهرًا في البحث عن الكتب التي يريدها بالطريقة المعتادة.

فأخبره أمين المكتبة بإمكانية البحث من خلال جهاز الكمبيوتر الخاص بالمكتبة عن أي موضوع يَنشُدُه وأرشدَه عن كيفية البحث بطرق مختلفة، وبالفعل بعد ثوانٍ من البحث عن الكتب التي تتحدث عن الكون، الطاقة، الثقوب السوداء، الذرة، المجرات، النجوم بعد أن كتبها أنس في خانة البحث ثم ضغط زر الإدخال انكشف البحث عن ما يقارب 10 آلاف كتاب ومرجع تتعلق بهذه الموضوعات.

لم يصدق ما حصل عليه كأنما وقع على كنز بل ربما أثنى. فأخبر أمين المكتبة مبدئيًا إصرارًا يبرق من عينيه بأنه يريد الحصول على جميع هذه الكتب وأشار إلى جهاز الكمبيوتر. فحدّجه الأمين بنظرة إمعان وارتباك وافتّر ثغره عن ابتسامة عريضة ثم قال: لا تستطيع اقتناء أكثر من ثلاثة كتب في المرة الواحدة. وعندما تُعيد هذه الكتب تستطيع أن تقتني ثلاثة أخرى. وثمان اقتناء الكتب الثلاث، جنيّة واحد فقط؛ فزم أنس شفّتيه وتغضن وجهه مبدئيًا انزعاجه فمن أين يأتي بهذا المبلغ وليس معه شيء؛ فبالرغم من زهد المبلغ وثمانه البخس إلا أنه لا يملك قرشًا واحدًا ناهيك عن جُنيّة كامل.

فقفل حزينًا واجمًا ومتحسرًا على عدم اقتنائه كتابًا واحدًا، وأخذ يفكر من أين سيأتي بهذا المبلغ الزهيد. ولم يكن الحصول على هذا المبلغ فقط هو كل ما يزعجه، ولكنه في كل مرة سيقطني فيها كتبًا سيتحتم عليه أن يدفع مقابله جنيّة آخر فكيف يحصل على بقية الكتب وهو فقير معدم لا يكاد يجد قوت يومه. ويدخر ما بوسعه لإخوته إيثارًا.

فقرر أن يبيع واحدة من أغنامه ولم يجد بدءًا من التنازل عنها لكنهم كانوا أعز ما يملك وهو يمتلك فقط 4 أغنام يعني أنه سيبيع تقريبًا ربع ثروته الصغيرة. عزَّ على نفسه التفريط بغنمة واحدة فهي تساوي عنده آلاف الجنيهات بل ربما لا تقدر بثمن، لكن في النهاية تنازل عنها أمام إلحاح نفسه وتوقها إلى المعرفة فأقدم على ذلك غير ميقٍ على شيء أو ضامنٍ بثمن بعد أن احتسبها في سبيل المعرفة بمقدار ثلاثة آلاف جنيه.

بدأ أنس يتردد على هذه المكتبة يوميًا آخر النهار قبل مغيب الشمس لاقتناء الكتب التي حددها، وما إن ينتهي من قراءة الكتب الثلاثة حتى يذهب مسرعًا إلى المكتبة لاستبدالها بثلاثة أخرى مقابل جنيه في كل مرة. كان يقرأ كتاين إلى ثلاثة كتب يوميًا أثناء رعي الغنم.

ومع نهاية كل كتاب يزداد نهمه أكثر فأكثر حتى بدأ ذهنه يتفتق عن ذكاءٍ رحيبٍ وعن قريحة متفتحة، وبدأ عقله يعمل بطريقة منظمة مبنية على أساس علمي رصين بعد أن كان يضرب خبط عشواء.

وفي يوم من الأيام، بينما كان يقلب في صفحات كتاب قرأ عن مصدر عظيم آخر للطاقة وهو "المادة المضادة" فسرَّ بذلك سرورًا عظيمًا وبدأ يكتفٍ البحث في بواطن الكتب عن كل ما يخص هذه المادة.

يفترض العلماء أن كل شيء في الكون له شبيهًا مضادًا لو اجتمع هذا الشبيه والشبيه المضاد سيتلاشى كل منهما وستنتج طاقة هائلة. ويعتقد العلماء بأنه بعد حدوث الانفجار العظيم منذ 13.7 مليار سنة تغلبت المادة على المادة المضادة وأصبحت هي السائدة وتلاشت المادة المضادة ولو حدث العكس لكانت المادة المضادة هي السائدة حيث يُعتقد بأنها ربما تكون موجودة على الأطراف الأخرى للكون.

فبدأ أنس يتوسع أكثر في قراءته عن هذه المادة المضادة وفوجئ بأن فريقين من العلماء استطاعا عزل الهيدروجين المضاد لمدة ثانية واحدة فقط لصعوبة عزله عن المادة الطبيعية. وسرعان ما اصطدم بالهيدروجين العادي لتتلاشى المادة ونقيضها لتنتج طاقة هائلة.

فوصل أنس إلى استنتاج مفاده أنه إذا اصطدمت بضعة جزيئات من المادة ونقيضها ستنتج طاقة هائلة ربما تعادل الطاقة الناتجة عن انفجار عدة آلاف قنبلة نووية. وسرت في أوصاله رعشة وتملكه شعور قوي بأن الأمر أصبح قريباً وربما سيصل إلى ضالته في الحصول على منبع لا ينضب من الطاقة العظيمة.

* * *

لكنه استطاع أن يتجلّد بالصبر والإرادة

بعد مضي عشرين سنة من القراءة المتواصلة التي لا تكل ولا تمل والبحث في أمهات الكتب، حاز أنس على كم كبير من المعلومات في شتى مجالات المعرفة حتى صار كأنه موسوعة تمشي على الأرض.

انشغل بالاطلاع وسبر أغوار العلم فأغناه ذلك وألهاه عن التفكير في أي أمرٍ سوى القراءة والبحث حتى إنه لم يتزوج بل لم يهتم بهذا الأمر مطلقاً فقد كان دائماً منشغلاً ومستغرقاً في البحث والقراءة طوال الوقت.

في خلال هذه السنوات التحقت أخته بكلية العلوم وأصبحت دكتورة ورئيسة قسم الذرة بجامعة المنصورة. أما أخوه محمود فقد التحق بالكلية الحربية وأخذ يترقى في مناصب الجيش. وكانت هذه اللحظة التي انتظرها أنس طويلاً والتي بذل من أجلها الغالي والنفيس ليصل إخوته إلى ما وصلوا إليه ويأمل أن يتقدموا أكثر من ذلك؛ فقد عزّاه نجاحهما عن عدم استكمال تعليمه؛ فقد كان يرى نفسه في إخوته.

وفي خلال هذه الفترة توالدت أغنامة وتضاعفت أعدادها بفضل رعايته لها حتى أصبح يمتلك من الثروة ما يجعله ينفق كما يشاء دون الخوف عليها من النضوب أو خشية الإملاق لكن كان يعز عليه التفريط بغنمة واحدة حتى بعد أن وصلت ثروته إلى هذا الحد.

استطاع أنس أن يعرف كثيراً من أسرار الكون وأسرار الذرة والطاقة خلال هذه السنوات. وعاد إلى التفكير في حلمه القديم وهو الحصول على مصدر طاقة عظمي والتحكم بها وبدأ يحلم بآلة النقل مرة أخرى.

كانت هذه الفكرة دائماً ما تتردد على ذهنه معظم الوقت لكنه سرعان ما كان يصرفها. وبعد أن اختمرت المعلومات وتضاربت في بوتقة عقله طوال هذه السنوات أخذت نفسه تحدّثه لماذا لا أستطيع الحصول على المادة المضادة طالما أن فريقين من العلماء استطاعا تخليق إلكترون مضاد وذرة هيدروجين مضادة، لماذا لا أسلك وأسير على هذا الدرب وأقتنص هذه الفرصة؛ فهي لا تأتي سوى مرة واحدة ولا أدري ما الذي يخبئه القدر فأنا على علم تام بكيفية إنتاج المادة المضادة نظرياً؟ ثم قال كأنما يخاطب نفسه: لا يوجد هناك معوق من السعي وراء هذه المادة ولن أخسر شيئاً فبدأ بإعادة ترتيب أفكاره وأوليّاته.

لكنه اصطدم بواقع أن المعلومات عن هذا الجهاز المسمى "بمسرع الجسيمات" الذي ينتج هذه المادة شحيحة وقليلة ولا تتوفر بالقدر الكافي. ثم أنه موجود خارج حدود القطر فهو موجود بدولتين فقط سويسرا وكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، فما أبعد الوصول إليه، لكن لم يثنه ذلك عن هدفه ولم يثبط ذلك من عزمه ونحى مسألة الوصول لمسرّع الجسيمات جانباً مؤقتاً، وبدأ بعمل أبحاث نظرية عن توليد المادة المضادة. وبعد البحث المضني الذي بذل في سبيله الكثير تأكد أن بمقدوره تكوين

جزيئات من "الماء المضاد" نظريًا ووضع نظرية مفادها " إذا أمكن دمج ذرات الأكسجين والهيدروجين المضاد بنسبة 2:1 على الترتيب فسنحصل على جزيء من الماء المضاد ".وبما أن فريق بحثي من العلماء توصلوا إلى إنتاج ذرات من الهيدروجين المضاد فربما أستطيع إنتاج ذرات من الأكسجين المضاد.

ولكن كيف له إنتاج مثل هذه الجزيئات وفي أي مكان؛ فهو يحتاج إلى مسرع جسيمات ثم أن المعلومات حول مكوناته غير متاحة.

فجلس واجمًا مطرق الرأس حزينًا يفكر ما السبيل في الوصول للمسرّع وكيف يحصل على هذه المادة.

وفجأة تذكر أن أخته د/فاطمة رئيسة قسم الذرة في كلية العلوم بجامعة المنصورة وبالتأكيد سيكون لديها معلومات عن "مسرّع الجسيمات" قد تكون كافية لتوجيهه إلى المسار الصحيح وربما استطاعت مساعدته.

وما إن عزم على الذهاب إليها حتى واجهته معضلة كبيرة: فهو لا يستطيع أن يترك الغنم فترة طويلة فهذه ستكون أول مرة يبتعد فيها عن أغنامه لمدة يوم كامل دون مرعى، لكنه لم يجد بداً من ذلك فعزم على الذهاب راغمًا.

وفي صبيحة اليوم التالي استيقظ مبكرًا كعادته وانطلق إلى الجامعة لمقابلة أخته. وعند دخوله من بوابات الجامعة استوقفه أحد الحراس بعد أن رmqه بنظرة استنكار.

فقد كان رث الثياب بالي الهيئة؛ فثيابه لا توحى بأنه أستاذ أو حتى طالب بل لو رآه أحد لظن أنه راعي غنم. كان يلبس قميصًا فضفاضًا وسروالًا غير متناسب تمامًا ولم يكن يلبس حذاء على الرغم من أنه أصبح يمتلك ثروة كبيرة من الأغنام، لكنه اعتاد ألا يبيع شيئًا من غنمه.

لم يحضر أي مناسبات اجتماعية على الإطلاق سوى حفلة زفاف أخته بل لم يكن يتحدث مع الناس إلا نادراً؛ فلم يكن يمتلك من الوقت ما يسمح له بأن يختلط مع أحد فقد كان فقط يبحث عن القراءة حتى ساءَ في بطون الكتب.

أخذ يتجادل مع الحارس بعد أن حذجه هو الآخر بنظرات ثاقبة واثقة جعلت الحارث يتردد ثم قال: "أنس أخو د/فاطمة". فصمت الحارث ولم يرد بكلمة ثم رماه بنظرة تشي بالتعجب فأضاف أنس بلمهجة حادة لماذا لا تصدقني فقط اذهب وأخبرها أنني أريد مقابلتها. وبدأ عليه الجدل بكلامه. كانت د/فاطمة معروفة ومشهورة ذائعة الصيت في الجامعة آنذاك؛ نظراً لما قدمته من أبحاث حصلت من خلالها على الدكتوراه وعلى جوائز كثيرة.

أصيب الحارث بالارتباك ثم قال: لدي أوامر بعدم دخول أحد سوى الطلبة والأساتذة عدا ذلك فلا أستطيع. فأخذ أنس يحلف له بالأيمان المغلظة بأنه أخو د/فاطمة وأنه لن يتحرك من مكانه حتى يقابلها.

"ما عليك إلا أن تذهب وتخبرها بأنني أريد مقابلتها" صاح أنس.

وتحت وطأة إلحاحه، رفع الحارث سماعة التليفون وأوصله عامل السويتش بمكتب د/فاطمة فردت عليه وأخبرها بما حدث. فلم تصدق بأن أخاها قد يترك أغنامه لمدة 5 دقائق وتساءلت كيف استطاع الوصول إلى هنا بمفرده، وقالت له بلمهجة واثقة: بالقطع هذا ليس أخي.

اعتذر له الحارث قائلاً: آسف أنت لا تستطيع الدخول. فأخذ أنس يصيح ويتجادل معه مرة أخرى. فأخبرت د/فاطمة الحارس أن يسمح له بالدخول فوراً وإيصاله إلى مكتبها بعد أن تعرفت على صوت أخيها من خلال سماعة

التليفون، وتعجبت وأخذت تتساءل: ما الذي أتى به، وماذا يريد؛ فهناك بالتأكيد أمر جلل، ثم تمتمت: "دعينا ننتظر وسنعرف بعد لحظات".

عندما وصل أنس، سلّم على أخته بحرارة ثم جلس. وبدأت على وجهها دلائل التوتر والاضطراب فسألته بصوت قَلِقٍ ما الذي أتى بك إلى هنا ثم تداركت الأمر بسرعة، وقالت لم أقصد ذلك بل أقصد هل حدث شيء ما؟ حتى يجعلك تترك أغنامك فأنت لم تفعلها من قبل.

أدرك أنس اضطرابها فقال محاولاً طمأنتها لا تقلقي ليس هناك من خطب. فقطبت جبينها وحدجته بنظرة ارتياب تملؤها الحيرة ثم أضاف: فقط أردت الحصول على بعض المعلومات، واعتقدت أنك ربما تعرفينها. فقصدتك طلباً للمساعدة هذا كل ما في الأمر.

فقفزت من فمها ضحكة تشي بسخرية ثم همهمت: تريد أن تحصل على معلومات؟ ثم قالت: خيراً أخبرني ما هي المعلومات التي تحتاجها فكلي أذان صاغية.

فقال أنس بلهجة حادة متأنية وبكلمات واضحة متباعدة بعد أن رفع حاجبيه وفغرفاه استعداداً لتلطيف رد فعل أخته: أريد معلومات كافية عن كيفية عمل مسرع الجسيمات وكيفية تخليق المادة المضادة. فلما وصلت الكلمات أطراف مسامعها تسمرت في مكانها بينما كانت تعد له بعض الليمون. ولم تكمل وتوقفت برهة بعد أن استقامت ثم استدارت ببطء باتجاه المقعد حتى اطمأنت إليه ثم حدثت أنس بنظرة ملؤها الحيرة بينما ترسم على وجهها ابتسامة توشي بالدهشة. ثم قالت مترددة بعد أن اكتسب وجهها بعلامات الحيرة مقطبة جبينها كيف عرفت عن موضوع رسالتي في

الدكتوراه؟ فقد كان عنوانها "مسرع الجسيمات وخلق المادة المضادة" ولماذا تريد أن تعرف عن الجهاز ومن متى أنت مهتم بالعلوم؟

فرمقها أنس بنظرة فاحصة بعد أن اعتدل في جلسته هو الآخر كأنما فوجئ من قولها ثم قال: أنا لا أعلم شيئاً عن رسالة الدكتوراه التي تتحدثين عنها وأقصى معلوماتي أنك دكتورة في قسم الذرة، أما مجال دراستك بالتحديد فلا أعلم عنه شيئاً، ناهيك عن عنوان الرسالة التي تتحدثين عنها فأولت ظهرها إلى الخلف بعد أن أخذت نفساً عميقاً كأنما تريد الابتعاد. واختفت ابتسامتها وعبس وجهها وداخلها شيء من الخوف.

ثم أشاحت بوجهها بعيداً وتساءلت بصوت خفيض - بعد أن رفعت رأسها إلى أعلى كأنما تخاطب ثالثاً في أعلى الغرفة، ثم وضعت كل إصبع بما يقابله في اليد الأخرى- وتساءلت: هل هذه صدفة؟ ثم نظرت إليه تعلو قسماً وجهها الحيرة، وسألته: إذاً ما شأنك والمادة المضادة؟ وكيف عرفت عنها وعن مسرع الجسيمات؟ فصمت أنس ولم يجب، فعادت مرة أخرى إلى ما كانت تعده من عصير الليمون. ثم سألته مرة أخرى وهي تبتسم: لكن أخبرني بربك كيف عرفت هذه المعلومات، فقال أنس: من قراءة الكتب.

فرمته بنظرة فاحصة متعجبة! بينما تناوله عصير الليمون ثم قالت بصوت حاد بعد أن مطت عنقها واتسعت مقلتاها فقط من قراءة الكتب؟؟ ثم قالت متهمكة: وأي كتاب قرأت؟ فصمت أنس ولم يتحدث، ثم تابعت بعد أن جلست: ماذا تريد أن تعرف بالتحديد عن هذا الجهاز؟

فقال أنس: أريد معرفة مكونات المسرع.

فضحكت بسخرية وبصوت مسموع ولم تتوقف حتى لمحت بطرف عينيها أثر التغير على وجه أخيها فصمتت على الفور وقطبت جبينها كأنما استحييت،

لكنها لم تستطع أن تخفي ما بدا لها من دهشة فسألته متهكمة: هل تريد أن تصنع جهازًا؟

فقال أنس بلهجة جادة وبصوت حاد: أنا أعرف فكرة عمل الجهاز جيدًا، ولكي لا أعرف كيفية تكوينه، ناهيك عن صنعه. وأيضًا ليس هناك معلومات كافية عن تركيبته وكيفية بنائه.

قالت د/فاطمة: لكن أخبرني لماذا تريد أن تعرف عن هذا الجهاز بالتحديد؟ ثم لماذا أنت مهتم به لهذه الدرجة؟ وبدى عليها كأنها بدأت تأخذ قول أخيها على محمل الجد، لكنها صمتت قليلًا حتى انفجرت ضاحكة وضربت بيدها على سطح المكتب ثم استقامت واقفة وهي لا تزال تتضحك، وقالت له مداعبة: يا أخي كيف عرفت فكرة عمل الجهاز أولًا؟ هل قرأت أبحاثي خلسة بينما كنت أعدها للدكتوراه؟

لم أعلم أنك كنت تحب القراءة لهذه الدرجة فلم أرك مرة تقرأ بالرغم من أنني رأيتك كثيرًا تدخل وتخرج وأنت تحمل الكتب، ثم قالت متهكمة بعد أن علت وجهها ابتسامة مأكرة: لقد ظننت أنك تستخدمها بأي شيء آخر عدا القراءة. ثم تهتت قائلة بينما أخذت تهز رأسها إداً فقد كنت تقضي وقتك في القراءة أثناء رعيك الغنم؟ وصمتت قليلًا ثم قالت وهي تتضحك: وهل تعد نفسك عالمًا بمجرد أن قرأت بعض المعلومات المتفرقة من هنا وهناك؟

فقال أنس: أما استنتاجك بخصوص أنني كنت أقضي وقتي في قراءة الكتب أثناء رعي الغنم فهذا صحيح. أما أنني قد قرأت أبحاثك واتطلعت على ما فيها فهذا لم يحدث قط، بل إنني لم أعلم بأن هذا الجهاز هو موضوع رسالتك للدكتوراه، ثم رمقها بنظرة حذرة، وأضاف: ولو كنت أعلم لساعدتك في

ذلك. فضحكت ضحكاً شديداً حتى بانث نواجزها. وصمت أنس بعد أن افتر ثغره عن ابتسامة هادئة متعجباً من رد فعلها.

ثم تابع: إذا فأنت لا تصدقي أخاك أليس كذلك؟ لقد أخبرتك قبل ذلك بأني لم أعلم من الأساس بأن رسالتك في الدكتوراه كانت عن مسرّع الجسيمات. فقالت فاطمة: ماذا يعني هذا؟ فقال أنس: أعتقد أنها مصادفة ولا تنسي أننا إخوة فاهتماماتنا قد تكون متقاربة.

فقالت فاطمة بصوت حذر بعد أن تنهدت وخرجت من فمها زفرة: اليوم يوم الصُدف.

فسألها أن تأتيه بورقة وقلم، فنظرت إليه بعينين فاحصتين ثم قالت ماذا تريد؟ فقال أنس فقط أئنتني بورقة وقلم وسأزيل عنك ما أصابك من اختلاط، فأنته بما أراد راغمة لعلها تنتهي من هذا اليوم اللبّك ثم أخذ يشرح لها فكرة عمل مسرّع الجسيمات ببراعة وبشكل حذق فأسرّها تمكنه العجيب من طريقة عرض المعلومات حتى بدأت تتخيله كبروفيسور يشرح لطلّبه فقد بدا عليه بأنّه ملّم بتفاصيل التفاصيل فتملكتها الدهشة وكأنّها لا تصدق ما تسمع وأخذت تتساءل من أين حصل على كل هذه المعلومات ومتى؟ وكانت تقاطعه من فترة إلى أخرى لتستفسر عن بعض المعلومات وكأنّها تختبره وهو يبدي قدرة عجيبة على السرد وتوضيح الإجابة وبعد مضي ساعتين من الشرح المتواصل لم تعد تسأل بل تستمع فقط.

أخذ أنس يخبرها عن معلومات لم تسمع بها من قبل لكنها متسقة ومقبولة نظرياً من وجهة النظر العلمية، ثم قالت: يا إلهي، فكثيراً من المعلومات التي ذكرتها لم أسمع بها قبل ذلك ولم أذكر ذلك في رسالتي للدكتوراه ثم سألتها: من أين أتيت بكل هذه المعلومات؟ ثم أضافت بعد أن شرّدت برهة كأنما

انفصلت عن الواقع وأشاحت بوجهها إلى الأمام بعيداً عن أخيها ثم قالت بصوت خفيض كأنما تخاطب نفسها: لو صحت نظرية واحدة مما ذكر فربما حصل على جائزة نوبل.

وبعد انتهائه من الشرح شردت في خيالاتها برهة من الوقت وأخذت تتساءل والأفكار تحتدم في رأسها: هل هذا أخي الذي كنت أعرفه؟ كيف تمكّن من تحصيل كل هذه المعلومات الدقيقة؛ فبالأكيد لا يمكن تحصيلها في وقت قصير، لابد أنه استغرق سنوات للوصول لهذه النتيجة.

ثم تهتت بعد أن أخذت نفساً عميقاً حتى اعتدلت في جلستها، وبدأت تتكلم بلهجة جادة وبكلمات واضحة ومتقطعة بعد أن حدجته بنظرة رزينة حادة، وقالت له: اذهب وبع بعضاً من غنمك واشتري لك من الملابس ما يناسبك ولا تنسَ أن تبتاع "تليفوناً" محمولاً، فلنا جلسة أخرى غداً وربما نقابل بعض الأشخاص وسنتقابل غداً في الساعة السادسة صباحاً هنا في مكتبي.

قال أنس: ماذا سنفعل بالتحديد في الغد؟

فقالت أخته وهي شاردة الذهن وبصوت خفيض بعد أن أشارت بيدها كأنها تأذن له بالانصراف: فقط افعل ما أمرتك به.

خرج أنس من الجامعة بعد أن ودعها ودون أن يناقشها في شيء. وبالفعل نفَّذ ما أمرته به بعد أن باع غنمة من أغنامه واشترى ما أخبرته به أخته وعزم على النوم مبكراً كعادته حتى يذهب في الوقت المحدد.

وبينما هي في طريقها إلى البيت كادت أن تصطدم بسيارتها، وبينما هي مستغرقة في التفكير، شاردة الذهن لا تكاد تصدق ما سمعته اليوم كيف يعرف أخوها كل هذا الكم من المعلومات؟ وكيف ابتكر ووضع نظريات على أساس علمي ومنطقي؟ ثم قالت متعجبة: ربما. فقد حدث مثل هذا في

السابق، ولكنها محاولات فردية كحالة الأخوين رايت مخترعي الطائرة؛ فهذا يؤكد إمكانية تعلم الإنسان النابه أعقد النظريات العلمية دون عون بل يستطيع أن يصل إلى نظرياته الخاصة إذا توافر لديه الصبر والمثابرة.

ثم أخذت تتساءل: ماذا لو صحت نظرية واحدة مما ذكرهم أنس، ربما سيصبح أينشتاين الثاني.

لكن لماذا يريد معرفة تركيب المسرع وما حاجته إليه؟ ثم ضربت بيديها على المقود وأخذت تعف نفسها: كيف فاتني أن أسأله هذا السؤال، ما حاجته إلى المسرع؟ ولوت شفتيها غضباً ثم تمتعت: لقد استحوذ على تفكيري كيفية إحاطته بكل هذا الكم الهائل من المعلومات؟ ومن أين حصل عليها؟

وصلت فاطمة إلى المنزل، وعند دخولها رآها زوجها على غير الوجه الذي اعتاد رؤيتها عليه؛ فقد جلست صامتة واجمة شاردة الذهن فسألها هل حدث شيء ما تريدان إخباري به، فأنت على غير عادتك، فأنا أعرفك جيداً. ثم قال ملحاً: هاه أخبريني ماذا حدث اليوم؟

فهتت أن تخبره غير أنها لأمر خفي ترددت لحظة لا تدري ما الذي منعها من إخباره بما يدور في خلدها واختلجها حدس غامض منعها من التلفظ بكلمة ودخلها شعور لم تستطع تفسيره بأنه ربما حدث خطب جلل لو أخبرته بشيء، فصمتت قليلاً، ثم قالت: لا لم يحدث شيء على غير العادة. فقط مرهقة بعض الشيء، سأحصل على قسط من الراحة، وبعدها سأعود لطبيعتي.

وعصف بها الأرق تلك الليلة وشغلها شأن أخاها وما بدا عليه من تغير لم تعمه به في السابق عن الاستغراق في النوم ولم يغمض لها جفن سوى بضعة من الليل، وظلت تنتظر الساعة الخامسة بفارغ الصبر حتى تنهض لمقابلته.

وقبل الخامسة بقليل خرجت من المنزل مسرعة وذهبت إلى مكتبها في الجامعة وجلست تنتظر وصول أخيها كما اتفقا. لم يصل عند السادسة والنصف فأخذت تُطمئن نفسها: سيأتي بعد قليل، ربما استيقظ متأخراً. دقت الساعة السابعة ولم يصل، ثم الثامنة، فبدأت تغتاض حتى أصابها من التوتر ما أصابها فأخذت تزرع الغرفة ذهاباً وإياباً، وعند الساعة التاسعة لم تستطع أن تصبر أكثر من ذلك، فقررت الذهاب إلى أخيها في بيت الغنم.

وعندما دخلت البيت صفقت الباب بعنف دون أن تطرق وهي غاضبة فارتاع أنس وأخذت تصيح "أنس أنس" أين أنت؟. فرأته جالساً بجانب بعضي من أغنامه قد كساه الوجوم، تبدو عليه علامات الحزن، فاقتربت منه ثم سألتها غاضبة: لماذا لم تأتِ في الموعد المحدد كما اتفقنا، لقد جلست أنتظرُك من الصباح الباكر، ماهو عذرك؟ وأخذت تصيح: هيّا أخبرني.

فنظر إليها نظرة ملؤها الحزن وأبلغها بأسفه، وبأنه لا يملك من الأمر شيئاً وأنه خارج عن إرادته، ثم قال: لقد استيقظت لأجد بعضاً من أغنامي مريضة، ولم أستطع تركها وهي على هذه الحال، وجلست بجوارها لأطببها، وقررت تأجيل الموعد. فنظرت إليه بغضب بعد أن قطبت جبينها مغتاضة، وبدأت تتمتم بكلمات غير مفهومة، وثارت ثورتها وأخذت تصيح وهي تردد: "غنم غنم غنم" أليس في حياتك شيء غير الغنم؟

فحدجها أنس بنظرة هادئة حانية، ثم قال بلحجة هينة: غنمي حياتي. لقد استطعت تحصيل كل هذه المعلومات أثناء رعي الغنم، ولقد وصلت لما أنت فيه بفضلها: فهذه الأغنام لها فضل علينا نحن الثلاثة، ثم طلب منها أن تجلس بجواره، فوقفت برهة من الوقت ثم جلست، وهنا هدأت ثورتها. وبعد لحظات نظرت إليه وفي عينها علامات الندم، وبدأت تتأسف عن

غضبها وصياحها عليه، فقال أنس بعد أن نظر إليها بحنو الأخ الأكبر المري: ليس بين الإخوة من أسف.

فتهدت ثم قالت: أنت تمتلك قلبًا يسع العالم كله، وأنا سعيدة لكونك أخي. ثم صمتت وبعد لحظات سألته: ما الذي تريده من مسرّع الجسيمات؟

فقال أنس: أريد الحصول على المادة المضادة.. ثم زمّ شفّتيه وقطب جبينه وأغمض إحدى عينيه استعدادًا لرد فعلها. ولم يكذّ ينتهي من كلامه حتى قفزت من مكانها وثارَت ثورتها مرة أخرى، وبدأت تصيح: لم أكن أعلم أنك بهذا الغباء، أي مادة مضادة تريد الحصول عليها! ثم أشاحت ببصرها بعيدًا وتابعت: لقد كنت مخطئة عندما جلست أستمع لك بالأمس، أنا نادمة أشد الندم على تضيع وقتي معك، كنت أعتقد أنك تمتلك أدنى ذرة من عقل.

تركها تصيح دون أن يرد عليها بكلمة حتى هدأت بعد أن أفرغت ما في جعبتها، ثم جلست صامتة. ولم يتكلم هو الآخر وخيم الصمت على الأخوين لكنها لم تستطع أن تظل صامدة على صمتها سوى لحظات قليلة حتى انفجرت ثانية بعد أن ضربت يداً بيد، ثم ضحكت ملء شديقها مستهزئة وصاحت: هذا من كلام المجانين.

ثم نظرت إليه وقالت بلهجة حادة: هل تعلم أن العلماء لم يستطيعوا الحصول سوى على ذرّة أو ذرّتين من الهيدروجين المضاد؛ حتى إنهم لم يتمكنوا من احتوائها أكثر من ثانية حتى اصطدمت بالمادة وتلاشت في لحظات. وأنت تخبرني أنك تريد الحصول على هذه المادة؟

ثم قالت له: أعتقد أنك لا تعلم ماذا تقول فربما أصابتك لوثة بعقلك موصومة ببصمة المجانين، إنك تهرف بأي شيء قد يخطر بعقلك، وكل ما تقوله هرطقة مبنية على نزعات رغاء. ثم أشاحت ببصرها بعيدًا وأخذت

تتمتم بكلمات غير مسموعة، وقالت بصوتٍ خفيض كأنما تعاتب نفسها: أنا نادمة أنني صدقت شيئاً مما أخبرتني به.

فحاول أنس تهدئة ثورتها وتسكين اضطرابها، وسألها أن تجلس فحادثته بنظرة غاضبة وقالت: أهدأ؟ وأخذت تصيح: ألا ترى أنني هادئة؟ هل تراني أصيح. فقال لها بصوت رزين: افترضنا أن هذا كله كلام غير صحيح ونزعات رعناء غير محسوبة كما تدعين فلن يضيرك شيء ولن تخسري سوى بعض الوقت، أتتكثرين على أخيك أن تجلسي معه بعض الوقت لتستمعي بعضاً مما تطلقين عليه هدياناً، ثم أننا قد خرجنا على الأقل بفائدة كبيرة.. فنظرت إليه نظرة جامدة بعد أن بدأت تتوارى علامات الغضب عن قسمات وجهها، وقالت له: ماذا تقصد؟

فقال لها بصوت هادئ رزين: يا أختاه نحن لم نلتقي منذ فترة كبيرة. فهزت رأسها كأنها توافقه، ثم تابع: وقد التقينا وجلسنا معاً، ألا تتفقي معي بأنها فائدة؟ لقد اطمأن كلُّ منا على الآخر وأنا سعيد برؤيتك وسعيد أيضاً بصراخك عليّ، ثم أننا لم نخسر شيئاً. أنت ترجعين إلى جامعتك وأنا أرجع إلى غنمي أليس كذلك؟

فجلست بعد أن بدأ الغضب يتوارى شيئاً فشيئاً وبدأ يظهر عليها علامات الرضا وصمتت قليلاً ثم قالت: معك حق. ثم تهتدت وأضافت: أنت دائماً ما تكون على حق وأنا مخطئة.

وخيم الصمت هنية ثم نظرت إليه وهي باسمه وقالت له مازحة: لكنني لست بأسفة لأننا إخوة أليس كذلك؟ فنظر إليها مبتسماً وقال لها: نعم نعم.

استأذنها أنس لحظات ورجع ممسكاً بورقة وقلم وجلس بجانبها وقال: سأقوم الآن بتوضيح وشرح كيفية تصنيع وتخليق المادة المضادة نظرياً، فأرجو منك أن تنتبهي لما سأقوله جيداً. فقالت متهكمة: ها نحن ذا قد

عدنا.. فقال أنس: لن يضيرك شيء من أباطيلي، فقط استمعي لها ولا تحكمي عليها واعتبريها جلسة سمر بين أخوين. ثم بدأ أنس بالشرح وقال: أنا لا أعرف كثيرًا عن تركيب وتكوين مسرّع الجسيمات الذي من خلاله أستطيع الحصول على المادة المضادة وهذه رأس المشكلة وقد وضعني هذا في مأزق جعلني ألجأ إليك طالبًا العون. فقالت له متهمكة: أنت استطعت استنتاج كل هذه النظريات العلمية بمفردك. واستطعت نظريًا أن تضع تصورًا لطريقة الحصول على المادة المضادة. فلماذا لا تصنع مسرع جسيمات خاص بك؟

فنظر إليها وعلامات الجد بادية على وجهه ثم قال: هذا يرجع لسببين.

أولاً: المعلومات في هذا الشأن ضئيلة، وليس هناك تراكم للمعلومات أستطيع الخروج من خلالها بتصوّر صحيح، ناهيك عن استحالة توفر الإمكانيات الضخمة لبناء مثل هذا الجهاز لشخص بمفرده؛ فهي مكلفة للغاية، وربما ليس هناك وقت أيضًا فهذا مما يفني العمر دونه.

ثانيًا: جهاز مسرّع الجسيمات ليس مطلوبًا بذاته، لكننا نحتاجه فقط لنحصل من خلاله على المادة المضادة، وعندها سينتهي دوره؛ فهو لبنة صغيرة لبناء آلة عظيمة لخدمة البشرية.

فقالت فاطمة: لماذا تريد الحصول على المادة المضادة؟ وماذا تقصد بالآلة العظيمة؟

فقال لها: لن أخبرك الآن فربما ترميني بالجنون، وربما تخرجين من هنا ولا تعودين ثانية. فصمتت قليلًا ثم قالت: فقط أخبرني عن هذه الآلة، وأعدك أنني لن أغضب. فقال لها باسمًا: لقد جربت ذلك كثيرًا فأنت دائماً ما تقولين هذا لكنك تطلقين غضبك وتثورين عليّ في النهاية، ومن الأفضل لكلينا أن تعرفني كل شيء في موعده؛ فكلما قضينا معًا فترات أطول ستكتسبين ثقة

أكثر، وعندها سأخبرك بكل ما أعرف، فزمت شففتها وأومأت برأسها كأنها موافقة.

وبعد ثلاث ساعات من الشرح المتواصل الذي لم يتخلله سوى بعض الاستفسارات من جانبها عن كيفية استخلاص المادة المضادة من مسرّع الجسيمات حتى بدأت ترضخ وتسلم بأنه يعرف كثيرًا من المعلومات، وبأنه وضع بعض الأسس والقواعد العلمية التي لم يصل إليها أحد قبل ذلك. ومن ثم بدأ يبني عليها. وطبعًا لا يستطيع أحد التأكد من صحتها.

فبدأت تتحمس لكلامه وقالت: ماذا بعد؟ ماذا علينا أن نفعل؟

فقال لها: لا أعلم فقد أتيت إليك لأني لا أستطيع أن أخطو الخطوة التالية دون مساعدة، ولا أعلم ما يتوجب عليّ فعله؛ فليس في حياتي أحد غيرك وأخي محمود وسأترك لك الباقي وسأوافقك على ما ستقولينه مسبقًا. فقالت له وأنا أيضًا لا أعرف ماذا أفعل فماذا كنت تتوقع مني؟ على كل حال سوف أنظر في الأمر. ثم استأذنت وانصرفت بعد أن ودعته.

عادت فاطمة إلى بيتها وهي مشغولة مكدودة الذهن وأخذت تتساءل: ماذا لو كان هذا الكلام هراء؟ وماذا لو كان صحيحًا بالفعل؟ لا أعلم كيف أتيقن من ذلك، لكن كيف يكون هراء ومعظم ما ذكره لي قد درسته دراسة عميقة حتى حصلت على درجة الدكتوراه وترأستُ قسم الذرّة، بالتأكيد معظم ما ذكره لي معلومات علمية رصينة. بخلاف بعض النظريات التي لم أسمع عنها قبل ذلك. ولم يقلها أحد قبله، لكن كيف أتأكد من صحتها. ثم أمالت برأسها قليلًا، وقالت: على الأقل نصف ما ذكره أنس أو أكثر يتضمن معلومات صحيحة مائة بالمائة.

إذًا فالفرق هو حصول أنس على هذه المعلومات من الكتب مباشرة دون دراسة أكاديمية، وبالتالي لا يمتلك غير شهادة الثانوية العامة. بخلافي فقد

حصلت على شهاداتي عن طريق الدراسة العلمية النظامية المتصلة بالجامعة وأشرف على رسالتي أساتذه متخصصون. إلى أن وصلت إلى درجة الدكتوراه، ثم أطلقت ضحكة مكتومة كأنها خرجت من أنفها، ثم تابعت: أما بقية المعلومات فهي نظرياته الخاصة، وتساءلت: هل هذا معقول؟. وأخذت تتساءل بعد أن ارتسمت على وجهها ابتسامة توحى بالدهشة والتعجب كيف يعقل هذا يريد تكوين ماء مضاد؟! يا أخي إن أمرك لعجيب، لكن كيف استطاع إخفاء كل هذا عني طوال هذه السنوات؟ ثم انتكصت، وقالت: إن لم يكن هذا كلام مجانيين فما هو إذًا؟

وصلت البيت واجمة شاردة كعادتها التي اكتسبتها حديثًا فسألها زوجها هل هناك شيء تخفينه عني فقالت: لا فقط يومي المعتاد وربما أكون مرهقة بعض الشيء كالعادة ثم سألتها لماذا؟ كأنما تريد أن تعرف ما الذي يظهر على قسماتها دون أن تلحظ.

فقال زوجها: أنت شاردة معظم الوقت، وعندما أخاطبك لا تجيبيني كأنك في عالم آخر، وأعلم أنك لست على طبيعتك هذه الأيام، فربما أنت مريضة؟ هل أنت كذلك؟

فنظرت إليه وهي تحاول جاهدة إخفاء ما أشرف على وجهها من تحير وارتباك دون جدوى، ثم قالت له: أنا على طبيعتي، كما قلت لك مرهقة بعض الشيء، وبمجرد أن أستريح سأرجع لسابق عهدي.

لم تستطع نوم ليلتها هذه بعد أن امتلأت رأسها بأفكار متضاربة؛ فهي لا تستطيع الانتظار لترى ما يفتق عنه المستقبل القريب من إجابات، وأخذت تفكر ماذا لو كان أخوها مصيبًا، وماذا لو كان مخطئًا.

* * *

فابتدأ برحلة

"لماذا لا نذهب في رحلة إلى كاليفورنيا أو سويسرا، سنعتبرها كرحلة سياحية لن نخسر شيئاً أعدك بذلك سأحرص على أن تكون رحلة ممتعة. ماذا يمتعنا من السفر إلى أمريكا؟ لا شيء. سأكون مرافقاً لك أرجوك أن توافقني." قال أنس.

سنذهب إلى معهد كاليفورنيا للتقانة، سنرى فقط مسرع الجسيمات، أعدك أنك ستستفيد من هذه الرحلة إلى أقصى حد، أخذ أنس يلح عليها ويحاول إقناعها.

ثم تابع: نستطيع أن نجمع كمّاً هائلاً من المعلومات حول المسرع، وستكون لهذه الرحلة فائدة عظيمة لأبحاثنا، وربما استطعنا الحصول على...

وهنا قاطعته فاطمة بعد أن رمته بنظرة حادة صارخة: لا تكن ملحاحاً لهذه الدرجة؛ فهذا لن يُجدي نفعاً، ولا تحاول إقناعي بهذه الأباطيل التي يطفح بها عقلك ثم تبسمت وأطلقت ضحكة ساخرة، وقالت: يا إلهي لقد كدت أن أصدق هذا العبث الذي تقوله، فقد تماديت معك كثيراً، ولن نذهب إلى هنا أو هناك.

لم يئأس أنس من محاولة إقناعها، وبذل جهده لإثنائها عن قرارها بعدم الذهاب إلى كاليفورنيا بشتى الطرق، ثم أضاف: إذا لم نحصل على شيء فلن نخسر شيئاً وسنعتبرها كرحلة سياحية لن نضيع فيها شيئاً سوى القليل من المال، أعذك بذلك.

فقالت بصورة حادة قاطعة وبألفاظ واضحة، وأخذت تضغط على نهاية الكلمات مؤكدة على ما تقول: قلت لك إنني لن أذهب إلى أي مكان، انتهى النقاش.

وخيم الصمت على الأخوين. ثم خرج أنس غاضباً بعد أن صفق الباب صفقة أفرزت أخته على أثرها ولم تكن معتادة على رؤيته غاضباً بهذه الصورة، بل ربما كانت هذه أول مرة يغضب فيها أنس بهذا الشكل فمن شيمه الرصانة والحلم، لكن عدم الإصغاء له أفقده شيمه النبيلة وعاد إلى بيت الغنم.

وبعد مرور يومين قضاهاما أنس في تيه وحيرة لا يدري ماذا عليه أن يفعل. وإذا فجأة ورده اتصال من أخته، فقال بصوت غاضب بعد أن وضع الهاتف على أذنه: ماذا تريدين؟ فقالت: سأسافر إلى أميركا بعد الغد، هل تريد الذهاب معي؟ قفز أنس من مكانه فرحاً وقال: أنا الآن في الطريق إليك.

وبالفعل تقابلا بعد ساعة.

وسألها أنس: ماذا حدث؟ لماذا أبدلت رأيك بهذه السرعة؟ هل جد جديد؟ فلم تجب سوى بابتسامة باهتة. فتابع أنس: أنت غريبة الأطوار. فقالت فاطمة: ليس كما تظن، فكل ما في الأمر أنني اقتنعت بكلامك فبعد ذهابك أدت الموضوع بعقلي فوجدت أنني لن أخسر شيئاً في الذهاب إلى رحلة كهذه، بل ربما استفدنا منها حتى لو لم نحصل على معلومات حول المسرع. وكما قلت سنعتبرها جولة سياحية لا بأس بها، ثم أضافت مازحة: وأغنامك كثيرة

ستغطّي تكاليف الرحلة أو يزيد، ثم أضافت وعلى الفور اتجهتُ إلى عميد الكلية وسألته: ما الطريقة المثلى للحصول على بعثة تعليمية لمعهد كاليفورنيا للتقانة فهو يحتوى على مسرّع للجسيمات ورسالي في الدكتوراة كانت تدور حول هذه النقطة. وربما استفدت كثيراً من هذه البعثة، فكما تعلم أن دراستنا في مصر كلها دراسات نظرية؛ ولذلك لا تثمر على مجالات من الإبداع.

فقال العميد: أنا شخصياً موافق، وليس هناك ما يمنع ذلك، ولكني لا أملك إلا أن أخبر المعهد بأن هناك دكتورة مبتعثة من طرفنا لعمل دراسة عن أي نقطة تختارونها أنت للبحث؛ بحيث تكون البعثة رسمية. أما كل ما يخص السفر من إجراءات وتكاليف وغيرها فهو مسئوليتك بالكامل. فوافقتُ على الفور؛ وأضافت: وأنا على أتم الاستعداد للسفر بمجرد الحصول على الموافقة الرسمية من معهد كاليفورنيا للتقانة، وستكون بحوزتي في خلال الغد على أقصى تقدير فتلهل وجه أنس فرحاً واستأذنها في العودة إلى بيت الغنم ليستعد للرحلة. وبعد أن غادر جلست واجمة خائفة حذرة يتخبط في ذهنها من الأفكار ما جعلها ترزح تحت عبئها صامته ساعة من الوقت تتأمل في الأيام القليلة الماضية؛ لقد انقلبت حياتها رأساً على عقب بين ليلة وضحاها؛ فلم تكن تعلم بأن شيئاً من هذا سيحدث قبل أسبوع.

وواجهتهما عقبة صغيرة كيف سيدخل أنس معهد كاليفورنيا للتقانة وبأى صفة؟ لكن سرعان ما حلت هذه المشكلة بفكرة بسيطة.

أنهى الأخوان إجراءات السفر بعد أن حثت فاطمة أحد معارفها لاستخراج الجواز الخاص بأنس على وجه السرعة. وفي خلال يومين أنهيا جميع إجراءات السفر. وبالفعل سافرا بسلاسة في الموعد المحدد دون معوقات.

بعد عناء سفر طويل، رأى فيه أنس من العجائب ما لم يخطر على عقله؛ فهو لم ير شيئاً في حياته سوى غنمه، ولم يبتعد عنها هذه المسافة قبل ذلك، وكانت هذه المرة الأولى التي يرتحل فيها خارج القطر حتى إنه ظل مرتعداً متشبثاً بمقعده طوال الرحلة متوجساً من حدوث مكروه للطائرة. أما أخته فنامت معظم الرحلة فقد كانت معتادة على السفر.

بعد نزولهما من الطائرة وإنهاء إجراءات السفر في صالة الوصول، وبعد الحصول على ختم المغادرة وهما بالخروج من المطار، رأت فاطمة لوحة بيد شخص مكتوب عليها: "د/فاطمة". كان مندوباً من المعهد جاء خصيصاً لاستقبالها.

ذهبت باتجاهه، وبعد أن وصلت إليه حيته ثم قالت له باللغة الإنجليزية: أنا د/فاطمة. فبادلها التحية مبتسماً، ثم أشارت إلى أنس وأخبرته بأنه المساعد أو السكرتير الشخصي، فأوماً برأسه مبتسماً بعد أن رحّب به هو الآخر ثم اتجها إلى الفندق لينالا قسماً من الراحة بعد أن أخبرها بأنها تستطيع الذهاب إلى معهد التفانة في الصباح.

وفي صباح اليوم التالي، استيقظ الأخوان في قمة نشاطهما بعد نوم عميق ذهب معه آثار إعياء السفر. ثم قالت فاطمة بحماس شديد وهي متحفزة بعد أن نظرت إلى أخيها بينما أخذت تهرئ نفسها استعداداً للخروج: هيّا أسرع، فلنذهب إلى المعهد، لقد تأخرنا. فقال أنس بعد أن رمقها بنظرة تشي بالتعجب تعلو وجهه ابتسامة سمجة حمقاء: تمهلي فقط دعينا نأكل أو نشرب شيئاً أولاً. ثم استقام معتدلاً ينظر في المرأة ثم أضاف بينما أخذ يمسد شعر رأسه بأصابعه قائلاً: ولم العجلة؟ ثم رمقها بطرفه كأنما أراد رؤية التغير الذي سيبدو على قسما وجهها، فقالت متجهمة مغتاظة بعد أن قطبت جبينها: إن أمرك لعجيب، أنسيت كيف كنت تتضرع إليّ وتناشدني

أن نساfer إلى هنا، ثم صاحت: هيّا نستطيع احتساء كوبٍ من القهوة ونحن في الطريق. فنظر إليها بابتسامة مصطنعة، فقالت له بعد أن انتهت إلى حيلته في تعمّد استفزازها وإزعاجها: لماذا تريد إثارة جنّقي في الصباح، ألا ترى أنني أختك؟ فقال بعد أن ابتسم ابتسامة زائفة ظلت مرتسمة على وجهه أكثر من المعتاد: أنا لا أحاول فعل شيءٍ على الإطلاق. ثم أطلق ضحكة مكتومة كأنها خرجت من أنفه قائلاً: ثم إني أعلم بأنك أختي، ولماذا تذكريني بذلك أصلاً؟ فصرخت بعد أن وضعت الوسادة على وجهها وارتمت إلى الورا: يا إلهي لا أظن أنني رأيت وجهك بهذا الغباء من قبل.. حتى قطع جدالهما طرقاً خفيضاً على باب الغرفة سأل أنس من الطارق فأجاب خدمة الغرف "وجبة الإفطار" سيدي. فأذن له بالدخول وأمره بترك الطعام على الطاولة ثم أذن له بالمغادرة، وظل أنس ينظر إلى الطعام ببلاهة حتى قالت له أخته على جنّتي أن تلتهم قطعة واحدة من هذا الطعام، لقد تأخرنا. فقال باسمًا بعد أن شبك كلتا يديه ثم وضعهما أمام وجهه كأنما يرجوها فقط دعيني ألتهم قطعة واحدة فقط إنه شهي للغاية، فإني أرى الطعام كأنما يطلبني بالاسم، بينما أخذ يتمصص شفّتيه بلسانه. ابتسمت أخته ثم أمسكت زراعته وجذبتة وراءها ثم خرجت مسرعة وهي تجرّه بعد أن أمسك قطعة من الكيك ووضعها في فمه يلوكها وهو يقول مازحاً تمهلي يا أختاه الطعام أولى من أي شيء.

نزل الأخوان أسفل الفندق وأخبرا السائق بوجهتهما بعد أن استقلا تاكسي. استغلت فاطمة وقتها في تصفّح النت، وأخذت تبحث عن معلومات حتى تعرّف أكثر عن هذا المعهد وتاريخه بُني هذا المعهد سنة 1891م في مدينة باسادينا على يد رجل أعمال وسياسي كبير يدعى أموس جي ثروب. بدأ على

صورة كلية مهنية. ومر بتحول كبير من كلية بسيطة لتدريس الفنون التقنية إلى مركز علمي ذي مكانة علمية عالية مرموقة.

حاز معهد كاليفورنيا للتقانة (كالتك) في آخر تصنيف للنيويورك تايمز لأفضل الجامعات العالمية 2012-2013 المركز الأول، على الرغم من كونه لا يعدو أكثر من مؤسسة علمية صغيرة نسبيًا؛ فعدد الطلبة فيه لا يتعدى 3000 طالب. ويعتبر من أكبر المراكز البحثية في العالم؛ حيث يحتل المرتبة السادسة على قائمة أفضل 500 جامعة في العالم. ومن الأحداث التاريخية الكبيرة التي مرت بها الجامعة كان ذلك الزلزال الضخم الذي ضرب سان فرناندو في 1971 وتسبَّب في قدرٍ كبيرٍ من الدمار لحرم الجامعة.

أما أنس فقد كان منشغلًا بالنظر إلى معالم المدينة الجميلة التي أسرت بصره وأخذت بلبه.

لم يمضيا كثيرًا في السيارة حتى وصلا إلى المعهد، وكان في استقبالهما دكتور "بيركلي"، فقدَّم نفسه بأنه أستاذ مساعد بقسم الهندسة الكيميائية، وسيقوم بمرافقتهما خلال جولتهما بالمعهد. سلمت عليه د/فاطمة، وقدَّمت له أخاها على أنه مساعدها الشخصي فردَّ عليه التحية وأخبرهما بأنه سيصحبهما في جولة مبدئية سريعة لتعريفهما بأقسام المعهد.

فسألته فاطمة عن القسم الذي يحتوي جهاز مسرِّع الجسيمات، وأخبرته بأن الجهاز هو عنوان رسالتها للدكتوراه، فأومأ برأسه مبتسمًا. وبالفعل اصطحبهما إلى الغرفة الرئيسية لوحدة التحكم.

وبدا على أنس اهتمامه الشديد بالمسرِّع، ثم بدأ يسأل ويستفسر كثيرًا عنه بينما التزمت أخته الصمت، وبدأ د/بيركلي يجيبه عن معظم تساؤلاته حتى انتبه من هذا المساعد الشخصي الغريب ومن اهتمامه الزائد بالجهاز وهزَّ

منكبيه ثم قطب حاجبيه متعجبًا، ثم تساءل كيف يعرف أصلًا اسم الجهاز؟!

تنتهت فاطمة لما بدا على د/بيركلي من تحير وارتباك، فبدأت تسأل هي الأخرى حتى لا تقع في حرج ثم أخبرته أن مساعدتها يعلم الكثير من المعلومات بفضل ملازمته لها معظم الوقت. وأنه اطلع أيضًا على رسالتها البحثية عن مسرّع الجسيمات فهو محب للقراءة، نَهِم لجمع المعلومات.

لم يستطع أنس أن يصمت أمام فضوله الذي أثاره الوقوف بين يدي المسرّع، فسأله: هل هناك ورق بحثي حول تركيب الجهاز؟ فأجاب د/بيركلي نعم وقال: كل ما تريده من أوراق بحثية موجود في المكتبة الملحقة بالمعهد... وهنا تدخلت فاطمة وسألته: هل نستطيع الاطلاع على هذه البحوث؟

تكشّف وجه د/بيركلي عن ابتسامة متعجبًا ثم قال: نعم أنتِ الآن في أمريكا، نحن هنا نهتم بتسهيل الحصول على المعلومات للعامّة؛ فما بالك بالمختصين؟ واتجه بهما إلى المكتبة وأرشدهما لكيفية البحث عن الكتب والبحوث العلمية من خلال جهاز الكمبيوتر.

انهمك الأخوان في البحث عن المراجع التي التمسها حتى وقعا بعد جهد وعناء على بعض الأبحاث والمراجع المتعلقة بالمسرّع. فعادا إلى الفندق بعد أن شكرا د/بيركلي لتملكهما الغبطة والسرور على ما ظفرا به فربما ساعدتهما هذه الأبحاث فيما يصبوان إليه.

انكب أنس على المراجع التي وقعت تحت يده بينما تساعدته أخته في تجميع وإظهار النقاط المهمة لجمع أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن، وبعد ثلاثة أسابيع من المذاكرة والقراءة المتواصلة انتهى أنس من دراسة كل مايتعلق بالمسرّع ثم قال لأخته لقد فهمت الآن كيفية عمل الجهاز جيدًا ثم

أضاف: ولقد وعيت بعض المعلومات الجديدة عن المادة المضادة. وصمت برهة بينما شرد عقله هائماً بين أفكاره: لو كنت أملك من الإمكانيات ما أستطيع بها بناء مثل هذا الجهاز لكنت قد شرعت بالفعل، لكن هذا مما يفني العمر دونه وأنا بمفردي. ثم انتبه ونظر إلى أخته، ثم قال: الآن إذا استطعنا تشغيل الجهاز فربما يتسنى لنا الحصول على ذرات الهيدروجين والأكسجين المضاد، وإذا أمكننا توفير حاويات لحفظ الماء المضاد؛ بحيث تكون خالية من ذرات الأكسجين والهيدروجين العادى لكي لا يُفني كلُّ منهما الآخر، فسأكون قد حققت من النجاح ما يجعلني أتابع طريقى بخطى وثيدة واثقة لتحقيق حلمي في الوصول إلى آلي المنشودة.

ثم حدّج أخته بنظرة ماكرة، وقال لها: لكن ما السبيل إلى تشغيله؟ ولم يجنح ببصره يمنة أو يسرة وأخذ يراقب قسمات وجهها بينما هي صامته لم تجب، ثم قالت: أعتقد أن هذا مستحيل. فتنهد أنس بعد أن أخذ نفساً عميقاً مطلقاً زفرة ومتأوهاً، ثم أشاح ببصره بعيداً بعد أن أطرق رأسه، ثم تابعت: لا أحد يستطيع تشغيل الجهاز إلا بالموافقة الخطية لأكثر من 10 علماء مسئولين عنه، ولا بد أن يكون حاضراً عند تشغيله أكثر من 50 عالماً.

فنظر كلُّ منهما إلى الآخر يتساءل ما الحل إذا!!

وصمت الأخوان ساعة من الوقت وقامت فاطمة كأنها تستعد للخروج ثم صاحت: "أنس" دعنا نخرج لناخذ جولة سياحية في المدينة لنتعرف على معالمها، فربما بأت هذه المهمة بالفشل، فنكون بذلك قد استفدنا على الأقل بجولة سياحية، ولم تضع هذه الرحلة هباء. فزم أنس شفثيه وتغضن وجهه بعد أن علاه الوجوم كأنما اغتاظ من إحياء أخته باحتمال فشل هذه المهمة كأنما تهيئه نفسياً لذلك فجلس صامتاً حزيناً لكنه لم يجد بداً من الذهاب معها بدلاً من الجلوس وحيداً تصرعه الأفكار، وعند خروجهما من

الفندق، سألت فاطمة موظف الاستقبال: ماهي أهم المعالم السياحية في هذه الولاية؟

فقال لهما بعد أن ارتسمت على وجهه ابتسامة جافة دائماً ما تظهر على موظفي الاستقبال: مدينة سان ديغو تستحق الزيارة أعتقد أنها ستنال إعجابكما. وأعطاهما خريطة موضح عليها أهم المعالم السياحية في المدينة ثم شكرت الموظف وخرجا لاستقلال تاكسي واتجها إلى مدينة سان ديغو مباشرة.

ذهبا إلى متحف سان ديغو للفضاء حيث يروي هذا المتحف تاريخ الاستكشافات الفضائية الدولية كما يضم المتحف مجموعة كبيرة من المركبات الفضائية مثل وحدة "أبولو9" وطائرة "سبيت فاير" ونموذج سفينة "روح سانت لويس" البريطانية.

ثم إلى متحف الإنسان وهو متحف أثري وإنساني؛ حيث يقع في بناء يعود إلى 1915م يضم 72000 قطعة أثرية و 37000 صورة فوتوغرافية بالإضافة إلى العروض التاريخية الدائمة وحديقة الصداقة اليابانية حيث تحوي مجموعة رائعة من الأشجار التجميلية والتكوينات الصخرية النادرة، وفي النهاية ذهبوا إلى مجمّع هورتون بلازا التجاري وبذلك انتهى اليوم.

وقد استمتعا به لدرجة أنهما تمنيا تكرار هذا اليوم السياحي الممتع. وفي طريق العودة جلس أنس يفكر في هدف الرحلة الأساسي. أبى عليه عقله أن يمهله يوماً واحداً دون أن يشغله بالمادة المضادة، وكيف سيحصل عليها بعد تشغيل مسرّع الجسيمات.

وبدأ يتساءل: ماذا لو استطعت تخطّي هذه العقبة الكؤود، بل ماذا لو أنني أمتلك مثل هذا الجهاز، لكنني أعلم أن هذا من المستحيلات. ثم أنه ليس

هدفًا لذاته فيكفي الحصول منه على الماء المضاد، وبالتالي يكون قد انتبهى دوره؛ فهو لبنة صغيرة لبناء آلة النقل، وقد قطعت شوطاً كبيراً بالفعل حتى اقتربت منها، ثم صاح بصوت مرتفع: لقد اقتربنا.. حتى التفتت أخته قائلة: ماذا أصابك؟ فقد كنت صحيحاً قبل قليل، فأشار بيديه بحركة لا مبالية أن لا شيء، ثم قال: لقد تذكرت شيئاً مهماً.. وساخ في عقله مرة أخرى وأخذ يتساءل لماذا لا نحصل على ما نريد من مادة مضادة من خلال هذا المسرع القائم بالفعل؟ ولكن كيف سنفعل ذلك؟ ثم التفت إلى أخته ليخبرها عما يدور بعقله فأراها منشغلة بهاتفها تقلّب في صفحات الشبكة العنكبوتية لتتعرف على العلماء العاملين بالمعهد، فوجدت قائمة تضم الحاصلين على جائزة نوبل من بداية إنشاء المعهد، وبدأت تقرأها، وفجأة توقفت عند اسم لفت انتباهها سرعان ما أعادت قراءته مرة أخرى، ثم حذبت أخيها نظرة ذات معنى، وقالت له: العالم مصري الكبير الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء عام 1990م هو بروفييسور يُدرّس في هذا المعهد؟ فقال أنس بعد أن هز منكبيه كأنه غير مكترث كأنما انفصل عن الواقع- وبدأ عليه كأنما يغالب النوم:- نعم أعلم ذلك.

لم تهتم فاطمة بعدم إبداء أخيها أي اهتمام بما قالت، فقررت عدم العودة إلى الفندق وأخبرت سائق التاكسي أن يذهب إلى هذا العنوان بعد أن بحثت في شبكة الإنترنت على عنوان هذا العالم المصري حتى انتبه أنس، وصاح: أين سنذهب في هذه الساعة المتأخرة هل جننت، ثم ماذا سنقول له؟ وكيف سيساعدنا أصلاً؟ فلم تلتفت إليه ولم تحفل بكلامه ثم تمتمت بصوت خفيض: هذه فرصة ولست على استعداد لتضييعها. وبدأت متحمسة وتشبّثت برأيها ثم أضافت: فربما بمقدوره مساعدتنا. فقال أنس: لقد تأخرنا كثيراً، كيف سنذهب إلى منزله في هذا الوقت المتأخر من الليل ومن غير

موعد سابق؟! فالساعة الآن الواحدة صباحًا. ماذا سنقول له؛ لقد أتينا في منتصف الليل لنستفسر عن بعض الأمور؟ ماذا تتوقعين أن يكون رده؟ هذا إن سمح لنا بمقابلته من الأساس.

فرمقته بنظرة حادة، ثم قالت سنذهب إليه في هذا الوقت وليكن مايمكن، هذه فرصة لن نضيعها، سنذهب إليه يعني سنذهب إليه، حتى لو اضطرت الذهاب بمفردتي، ثم أشاحت ببصرها بعيدًا، وأسندت ظهرها إلى المقعد بغضب بعد أن طوت ذراعها حول بعضهما، فرضخ أنس تحت تصميم أخته، ولم يجد بدءًا من التزام الصمت. وبعد قليل أضافت بعد أن كسرت حاجز الصمت؛ وأنا متأكد أنه سيستقبلنا بترحاب ثم أننا غرباء عن المدينة ولا تنسي أنه مصري، والمصريون كرماء فقال لها مستسلمًا لإرادتها: معك حق دعينا نذهب وليكن مايمكن.

وصل الأخوان في تمام الساعة الثانية صباحًا وطرقا باب المنزل فلم يرد أحد، طرقاه مرة أخرى بقوة فلم يجب أحد. فقررا العودة إلى الفندق. وما إن استدارا وهما بالرجوع. فُتِحَ الباب وخرج منه شخص مقطب الوجهة عابس الوجه فسلم عليهما ببرود وحياهما بالإنجليزية. فعرفاه فورًا فقد كان عالمًا مشهورًا زائع الصيت كثيرًا ما تراه في التلفاز.

ردًا عليه التحية باللغة العربية فبدت عليه الدهشة وزال عبوسه وهش وجهه، ثم قال: أنتما مصريان؟! أليس كذلك؟!

فأجاباه بصوت واحد: "نعم". فرحب بهما بحرارة. ودعاهما إلى الدخول فورًا ثم قال: لقد سمعت طرق الباب من البداية، لكنني غير معتاد أن استقبل زوارًا خاصة في هذا الوقت المتأخر، ولكن بدون سبب أحسست بفضول الخ علي معرفة من الطارق في هذا الوقت فمرحبًا بكما في منزلي.

وبعد أن تعرفوا على بعضهم أكثر، أخبرته فاطمة بأنها رئيسة قسم الذرة بجامعة المنصورة، وقدمت له أنس على أنه أخوها وأيضاً مساعدتها الشخصي، ثم قالت: نحن نطمح في مرافقتنا بجولة قريبة من مسرّع الجزيئات، لقد كان هذا الجهاز نقطة البحث الأساسية في رسالتي للدكتوراه. فأومأ بموافقته مرحباً.

لكنهما أضمرأ أيضاً مرادهما الحقيقي ولم يطلعا بهيئتهما في الحصول على المادة المضادة، فأخذ يحدثهما أكثر عن المسرّع وعن كيفية عمله ثم قال معتذراً: أنا لا أُلِمّ بدقائقه، فهو لا يدخل ضمن مجال دراستي. فتبسم الأخوان ابتسامة تدل على قبول عذره.

ولكنه لاحظ أسئلة أنس العميقة واهتمامه الغريب بالجهاز بالرغم من كونه لا يعدو سوى مساعد، فأبدى تعجبه، ثم سأله كيف تعرف هذا الكم الهائل من المعلومات حول المسرّع؟! فقال أنس: أحب الاطلاع كثيراً، فأنا أقرأ كل ما يقع تحت يدي.

فتدخلت فاطمة سريعاً وقالت: لقد اطلع أنس على رسالتي التي أعدتها للدكتوراه، وقرأ كل أبحاثي في هذا المجال، فصمت هذا العالم الكبير ورمقها بنظرة فهمت منها بأنه لم يصدقها فيما ذكرت، وأخذ يتساءل بعد أن سها للحظات، أسئلة هذا الرجل تعبر عن عمق شديد، وعن عقلية متخصصة ربما يكون هو المتخصص وهي مساعدته الشخصية، ولكن لماذا يخفيان ذلك حتى انتبه على صوت أنس وهو يسأله عن كيفية تشغيله. فتملكته الدهشة ثم رمقه بنظرة باسمه، وقال: لماذا تريد تشغيل المسرّع؟ فقال أنس مرتبكاً: أريد ان أراه فقط وهو يعمل، أعتقد بأنها ستكون تجربة مثيرة. فقال العالم: ربما يكون هذا عسير، ولكن ما أستطيع تقديمه لكما هو اصطحابكما في جولة عن قرب لتقوما باستكشاف المسرّع على حقيقته. ثم

أضاف: أليس هذا ما تريدان؟ فقال الأخوان بصوت واحد: نعم. واتفقا على أن يتقابلا في المعهد في الساعة العاشرة صباحاً. فسلما عليه بعد أن شكراه وانصرفا تغمرهما الغبطة والسرور: فكل خطوة تقرّبهما من مبتغاهما. ثم قالت فاطمة بعد أن رمقت أختها نظرة ذات مغزى: رأيت كيف قابلنا الرجل بترحاب.. فقال أنس: ليس معنى أنه قابلنا بترحاب بأننا لم نثقل عليه. فقالت أخته بعد أن حدجته بنظرة ماكرة: لا تنسَ أنني أتيت معك لأساعدك في الحصول على مبتغاك فكفّ عن هذا وإلا... ثم صمتت فقال أنس: وإلا ماذا؟ فقالت أخته باسمه: أنت تعرف ماذا سيحدث لك. فأشاح بوجهه بعيداً تعلق وجهه ابتسامة. وانطلقا قافلين إلى الفندق.

وفي صباح اليوم التالي ذهبا في الموعد المحدد وكان في انتظارهما هذا العالم الكبير فسلمّ عليهما وانطلقوا مباشرة إلى القاعة الموجود بها مسرح الجسيمات.

مبنى كبير يحتوي على صالة مغطاة تتشعب من حوافها ممرات دائرية لا يرى منتهائها تحتوي على ما يشبه أنبوب عملاق غير مفرغ، ويتكون المسرع من محطات تسريع ومغانط عظيمة الحجم تكاد ترتفع إلى ما يقرب من 100 متر. ومبني على شكل دائرة عظيمة عندما تكون بجانبها تراها منبسطة يصل حجمها عدة كيلومترات.

أشار العالم الكبير إلى غرفة صغيرة على يسار غرفة التحكم ثم قال: هذا هو الجزء الرئيسي للمسرّع الذي يتم به أسر بعض الذرات المضادة، وبجواره غرفة التحكم، ولكن للأسف فكما تعلمين لا نستطيع الحفاظ عليها سوى أجزاء قليلة من الثانية ولا تقاس سوى بالآت دقيقة لحساب الوقت صنعت خصيصاً لهذا الغرض.

وبعد عدة ساعات من معاينة المسرّع بذل فيها العالم ما باستطاعته حتى أجاب على معظم ما استشكل على الأخوين إدراكه ولم يتركاه حتى استنزفا جميع ما يعرفه من معلومات حول المسرّع، حتى أنهكهم المسير جميعاً ولم يستطيعوا مشاهدة سوى جزء يسير منه ثم قال: بقية أجزاء المسرع هي نسخ متكرره مما شاهدتماه ومتصلة ببعضها مكونة دائرة عملاقة تصل لعدة كيلو مترات؛ ولذلك فليس هناك حاجة لرؤية أجزائه بالكامل فهو مشيد على مايقارب 20 كم. وفي نهاية الجولة شكره على هذا المجهود الكبير الذي بذله لهما في شرحه المستفيض وعلى صبره معهما واقتطاع جزء من وقته الثمين ثم استأذنا بالانصراف بعد أن ودعاه.

عاد الأخوان إلى الفندق بعد أن أصابهما من الإرهاق والتعب ما أصابهما؛ فساعد ذلك فاطمة على الاستغراق في نوم عميق بينما لم يستطع أنس أن يهدأ واثرت نائرة عقله وماجت نفسه كسابق عهدها بعدما رأى المسرّع بعينه، ثم قال: بيني وبين الحصول على الماء المضاد هو تشغيل المسرّع بعدما علمتُ جميع التفاصيل، وجلس وأمسك قلمًا وورقة وأخذ يراجع كل ما في جعبته من معلومات ليتميز هدفه ويستبين طريقه وبدأ في تدوين وترتيب أولوياته حتى استغرقه ذلك طوال الليل وكان ملخصها كالتالي:

- 1- الدخول إلى المسرّع وتشغيله.
- 2- تكوين هيدروجين وأكسجين مضاد ودمجهما لتكوين ماء مضاد.
- 3- حاوية مناسبة تحوي هذا المضاد لفترة كبيرة.
- 4- الخروج من أمريكا مع حاويات المادة المضادة بسلام.
- 5- الشروع في بناء آلة النقل.

استيقظت فاطمة بكامل نشاطها، فوجدت أنس جالسًا على المقعد واضعًا يده على خده وبصره إلى أعلى بينما ساخت المنضدة تحت أكوام من الورق المبعثر، وبدا ساهمًا غارقًا في أفكاره. فقالت: هل ظلت مستيقظًا طوال الليل؟ وماذا كنت تفعل بهذه الأوراق؟ وأشارت بيدها فلم يجب فصاحت: "أنس" نحن هنا فالتفت مرتعدًا. ثم تمت: متى استيقظت؟ فقالت: ماذا كنت تفعل طوال الليل؟ فقال أنس: كنت أقوم بتدوين ما يجب علينا فعله بعد ذلك. ثم أشاح بوجهه بعيدًا فرمقته بنظرة حائرة ثم قالت: وماذا سنفعل؟ بالطبع سنعود بعد يومين إلى القاهرة، هل هذا يحتاج إلى جهد أو تدوين؟

فقال أنس بعد أن رمقها بنظرة ماكرة: لقد حلّلت الأمر تحليلًا دقيقًا. ولم أجد أمامنا خيارًا سوى الدخول خلسة وتشغيل المسرح، وعندها سيكون بحوزتنا ما أتينا من أجله. فصرخت ثم قالت: ماذا تعني بأماننا؟ فأنا لست معك فيما تفكر به أيًا كان، ولا تحاول إقناعي بما يدور بخلدك، ولا أريد أن أعرف به أيًا كان، ثم أننا لم نأت إلى هنا من أجل أن نرجع بأي شيء، بل كان الهدف من الرحلة هو جمع المعلومات وعمل بحث حول المسرح، ثم صاحت: يا إلهي، تريد أن ندخل كاللصوص نحن لسنا كذلك. ولن نقوم بذلك أبدًا. ثم أشاحت ببصرها بعيدًا بعد أن ضربت المقعد بيدها غاضبة. فقال أنس بعد أن رمقها بنظرة ماكرة كاشفًا عن ابتسامة باهتة: وما فائدة المعلومات دون الحصول على الماء المضاد، ثم أننا لا نستطيع بناء مثل هذا المسرح. وقد عكفت على دراسة الأمر طوال الليل ولم أجد سبيلًا آخر. ثم خيم الصمت على الغرفة.

وبعد قليل تنهد أنس بعد أن أخذ نفسًا عميقًا ثم اعتدل في جلسته وقال: أخبريني أنت، هل تمتلكين طريقة أخرى؟ فقالت على الفور: أنا لا أريد الماء المضاد حتى أفكر في طريقة للحصول عليه، وسأرجع إلى القاهرة بعد الغد.

فوجم أنس صامتاً لفترة، ثم قال: الغرض الأساسي للحصول على المادة المضادة هو صنع آلة ستستخدم في خدمة البشر، وستتقدم البشرية عشرات بل ربما مئات السنين بفضل هذه الآلة، ولو علموا مبتغانا في الحقيقة لأعطونا مانريد. ثم نظر إلى أخته بعد أن قطب جبينه ورفع أحد حاجبيه وقال بلهجة متغطرسية: أنا شخصياً لا أعتبر هذه سرقة. ثم أضاف بنبرة تنطوي على بعض العجرفة اغتاظت أخته منها: بل ربما سيقدمون لنا الشكر الوفير في المستقبل القريب، وستذكرين ما أقول.

فقالت غاضبة: إذا أردت أن تخدم البشرية فاخدمها بأساليب شريفة غير ملتوية. ودعك من أسلوب المراوغة الذي تتبعه معي، فأنا أفهمك جيداً، ولن تستطيع إقناعي هذه المرة. وأشاح كلُّ منهما بوجهه معرضاً عن الآخر وابتعدا غاضبين.

وخرج أنس من الغرفة مغضباً مكتئباً، أصابه من الإحباط ما أصابه لا يدري أين يذهب، فجلس في قاعة الاستقبال ولم يعد إلى الغرفة حتى جنَّ الليل ثم عاد استعداداً للنوم بعد انقضاء اليوم، ولكن لم يغمض له جفن، وأخذ يفكر: ما الحل إذا لم تفتنع أختي في النهاية. ثم قال بلهجة الواثق المتحدي: لن أرجع دون هذه المادة، حتى لو كان المقابل حريقي أو حياتي وإلا أكون قد أفنيت عمري هباءً.

وفي صباح اليوم التالي، قال أنس: لقد وانتني فكرة عظيمة. فقالت مازحة أنتني بأفكارك الناجعة؟ فقال: أعتقد أن بمقدوري تشغيل المسرع، ولن يكون في استطاعة أحد اكتشاف أنه يعمل وسيظنونه عطلاً في أحد دارات الطاقة ولن يعلموا أن أحداً كان متورطاً في هذا الأمر أبداً. فصاحت أخته: يا إلهي لقد عدنا ثانية، لن أكمل معك هذا الطريق كما تريد، وسأعود إلى القاهرة في الغد. ثم رفعت يديها كأنما تريد أن تهوى بهما على خديها؛ فتبسّم

تَبَسُّمُ الْمُغْضَبِ وأخذ يقول: هل ترضين أن نعود إلى بلادنا صفر اليدين بعد أن قطعنا كل هذا الطريق؟ هل ترضين أن يتوقف حلمي عند هذا الحد بسببك بعدما اقترنا من تحقيقه. وأخذ يحاول أن يستنطقها بالموافقة. وفي نهاية اليوم أظهرت بعض اللين، ثم قالت: ماذا لو قُبِض علينا هل تعلم ما سيحدث لي، فسأفصل من الجامعة هذا إن لم أقض بقية حياتي خلف الأسوار. فقال أنس بلهجة حازمة واثقة مقطباً جبينه: أنا أضمن لك ألا يحدث شيء من هذا، وسنعود سالمين إلى مصر وبحوزتنا الماء المضاد. وصمت قليلاً، ثم أضاف بعد أن انبسطت أسارير وجهه- كأنما تراجع عن وعده - في الحقيقة هذه المادة تستحق المخاطرة.

وفي النهاية، وبعد فترة طويلة من الجدل، هزت برأسها وهي خائفة وجلة ومتردة بحركة تدل على الموافقة. وأحست برعشة تسري في أوصالها، ظنتها علامة سينة كادت أن تثنيها فطأطأت رأسها قليلاً، ثم رفعتها، وقالت: أنت دائماً ما تضعني في هذه المواقف الغريبة، فهذه المرة الأخيرة التي أوافقك على شيء.. ثم انتهت لكلامها حتى أرادت أن تسترجع هذه الجملة: "فهذه المرة الأخيرة التي أوافقك على شيء" واعتبرتها فأل سيء، ولكنها لم تجد بدءاً من التقدم وراء أخيها، وليكن مايكن. فتهللت أسارير وجهه وأخذ يقول: يا أختاه، اعلمي أنني لا أساوي شيئاً بدونك.

عكف أنس على وضع خطة محكمة، واستنتج أن الحجم المناسب للحاويات التي ستحمل الماء المضاد مكعبات مستطيلة الشكل ذات أبعاد متتالية $1 \times 2 \times 3$ سم، وبعد دراسة مستفيضة لخصائص مواد الجدول الدوري، توصل إلى أن المعضلة لا تكمن في المادة نفسها التي ستدخل في تكوين المكعب، وإنما في تفريغ الحاوية من أي ذرات للمادة، خاصة ذرات الأكسجين والهيدروجين حتى لا يصطدمان بنقيضهما ويُفني كلٌّ منهما الآخر. وبالفعل

بدأ في صنع ثماني حاويات بعد أن توصل إلى الطريقة المثلى لتفريغ المكعبات من الذرات عن طريق تسخينها في درجة حرارة 1000 درجة كلفينية لمدة 24 ساعة، وستعمل هذه الحرارة العالية على تكسير الذرات وتحليلها إلى جسيمات أصغر حتى تتلاشى.

ولم يبق سوى وضع خطة مُحكَّمة وتحديد ساعة الصفر للتسلل إلى مسرح الجزيئات وتشغيله. استغرق أنس في إعداد الخطة يوماً كاملاً، ثم أخبر أخته بضرورة حجز تذاكر العودة؛ نظراً لضيق الوقت؛ فلن يكون هناك متسع من الوقت لفعل أي شيء لو حصلوا على الماء المضاد وقام بتحديد وقت الدخول إلى المعهد مساء الغد في الساعة السادسة.

وفي مساء اليوم التالي، وقبل الوقت المحدد بساعة، انطلقا إلى المعهد وترجلا من السيارة وسارا حتى دخلا من البوابة الرئيسية بسلاسة، بعد أن أخبرت الحراس بأنهما على موعد مع العالم الكبير الحاصل على جائزة نوبل في مكتبه. فسمحوا لهما بالدخول بعد أن أبرزوا لهم ما يثبت هويتهما. وكان المعهد ما زال ممتلئاً بالأساتذة والطلبة الذين يتجولون هنا وهناك. وبعد أن وصلا إلى الصالة الرئيسية، قال أنس: سنجلس هنا إلى أن تهدأ الحركة. وانتبذا مكاناً هادئاً استعداداً للبدء في تنفيذ المهمة. وحاولا الجلوس بصورة طبيعية لكي لا يظهر عليهما أي أثرٍ مما ينويان ارتكابه بعد قليل. بدأت الحركة تقل بعد ثلاث ساعات من الجلوس المصاحب بحذر، بينما كانا يراقبان المكان وبدأ يمر شخص كل دقيقة أو دقيقتين، فقالت فاطمة: هيا، لابد أن نتحرك الآن فجلستنا هذه تبعث الشكوك؛ فلم يعد هناك أحد سوانا، فقال أنس: انتظري قليلاً فسنتحرك بعد 15 دقيقة من الآن، انظري إلى الممر المفضي إلى غرفة التحكم في المسرع ما زال بعض الأشخاص يتحركون من خلاله. فتمتعت أخته بعد أن نظرت إلى الساعة. وبعد مُضيّ

عشر دقائق، قال أنس: ينبغي علينا التحرك الآن، انظري من خلال الزجاج إلى الشخص الواقف في الجهة الأخرى من الصالة المقابلة، بدأ ينظر إلينا، أعتقد أنه أحد أفراد الأمن، ثم أشاح ببصره بعيداً حتى لا يثير انتباهه فاتجهت أخته ببصرها إلى هذا الشخص مضطربة، ثم استقامت واقفة وقالت: يا إلهي إنه يتحرك باتجاهنا. واتجهت أخته إلى السير في الاتجاه الآخر، فسحبها أنس بعد أن قبض على يدها بثبات دون أن يظهر عليه أي ارتباك أو تلجلج، ثم نظر إليها مبتسماً وهو يحاول تهدئتها، ثم اتجه الأخوان في الاتجاه الذي يسير به هذا الشخص. بدأ يقتربان منه وهي تحاول جاهدة إخفاء ما أصابها من توتر، وبدأ قلبها يخفق بشدة حتى عبر الشخص بجوارهما دون أن يلتفت إليهما، فتهدت بعد أن أخذت نفساً عميقاً، ثم قالت: يا إلهي كاد أن يُقبض علينا، فقال أنس بصوت حاد: كدنا أن نقبض على أنفسنا، ولماذا يقبض علينا أي شخص ونحن لم نفعل إلى الآن أي فعل يحاسب عليه القانون، ولو عدنا الآن وخرجنا من المعهد فسنكون كالمئات الذين دخلوا وخرجوا اليوم. فقالت له بصوت متهدج: هيّا نعود إلى الفندق، فلم أعد أتحمل، فقال أنس ضاحكاً: تريدان أن تعودتي، وماذا بعد؟ لابد أن نكمل فأننا لن أعود خالي الوفاض. ثم قال أنس: كأنه أراد أن يصرفها عن قلقها: انظري الممر المفضي إلى غرفة التحكم، لم يدخل أو يخرج أي شخص خلال الربع ساعة الأخيرة، هيّا فلنتحرك الآن. واتجه الأخوان إلى الممر ثم انعطفا بداخله واتجها صوب غرفة التحكم التي كانت تبعد عن الصالة الرئيسية حوالي 100 متر فلاحظت فاطمة الكاميرات الأمنية التي تغزو الممر، وانتبذا مكاناً قصيماً بجانب الممر وأخرجت من جيبيها جهازاً لוחياً كانت قد جلبته معها خصيصاً لهذا الأمر واستطاعت أن تلج إلى النظام الأمني للمعهد بمشقة، وبدأت في تعطيل أجهزة المراقبة، وتمكنت من إيقاف كاميرات

التسجيل ووضع مقطع فيلم يعرض الصلاة خالية ثم عملت على إعادته عشرات المرات حتى يُظهر الردهة خالية سوى من السكون. وتمكنت من تعطيل أجهزة الاستشعار المتصلة بمسرّع الجسيمات التي تُنبئ المراقبين بالطاقة المستهلكة الناتجة عن تشغيله، وبالتالي عزل المسرّع عن غرفة الأمن، وما إن انتهت من عزل الغرفة والجهاز حتى انطلقا إلى الوحدة الرئيسية التي تتحكم فيه، وكانت في غرفة جانبية منعزلة مكسوة بالزجاج من جميع جوانبها، ثم بدأ أنس في تشغيل المسرع، ولكن واجهته بعض الصعوبات الناتجة عن تطبيق المعلومات التي قد حصل عليها نظرياً؛ نظراً لتعقيد أجهزة الإطلاق، لكنه سرعان ما تغلب عليها حتى بدأت شاشات الحواسيب الآلية تشير إلى أن مسرّع الجزيئات قيد التشغيل، ويلزمه البدء في تكوين ذرات المادة المضادة، بينما وقفت أخته كأنما تراقبه، ثم أشار إليها لوضع المكعب في المكان الذي ستنتهي إليه الذرات المضادة فامتثلت على الفور ونفذت دون جدال كأنما أرادت الانتهاء بسرعة. وبالفعل بدأ المسرّع في إطلاق البروتونات قريباً من سرعة الضوء لتكوين ذرة هيدروجين مضادة وعزلها في المكعب ثم يتبعها بنصف عدد ذرات الأكسجين المضاد. وبدأ الجهاز بدمج الهيدروجين والأكسجين المضاد لتكوين جزيئات الماء المضاد.

استغرقت العملية لتجميع عدد محدود من جزيئات الماء المضاد في المكعب الأول مايقارب الساعة؛ أي أنهم يحتاجون لسبع ساعات أخرى لملاً بقية المكعبات. لم يكن في حسابهم أن ملاً المكعب الواحد قد يستغرق كل هذا الوقت.

فنظرت فاطمة لأخيها نظرة ملؤها الخوف، ثم قالت: دعنا نكتفي بهذا المكعب فقط فسنعرض العملية وأنفسنا للخطر؛ فقال لها بلهجة حادة لا مبالية: ما فائدة مكعب واحد. هذا كأننا لم نفعل شيئاً، سنكمل ملاً

المكعبات الأخرى حتى لو قبض علينا، ثم تابع ما كان يفعله. وأمام تصميمه لاذت أخته بالصمت ولم تستطع أن تثنيه عما أراد.

كان أنس منتشيًا من نجاح التجربة وحصوله على مكعب يحتوي على أعلى مادة في العالم؛ حيث يصل سعر الجرام الواحد 65 مليار دولار، فما بالك بمكعب يحتوي على عشرة جرامات من هذه المادة، وماذا لو كانوا ثمانى مكعبات. فطلب من أخته استبدال المكعب الممتلئ بالثاني.

وبدأ في تجميع الماء المضاد واستغرق أيضًا ساعة، وبدأ القلق يخيم على وجه فاطمة حتى بدا عليها الارتباك والخوف، ولاحظ أنس ما خيم على وجه أخته فذهب بجانبها ووقف قبالتها، ثم وضع يديه على منكبيها وجذبا حتى كادت أن تسقط، ثم حذجا بنظرة واثقة ملؤها الكبرياء والشموخ، وقال بلهجة الواثق: هذه اللحظة لن تتكرر ثانية في حياتنا، هذه اللحظة جديرة أن نبذل كل مانملك حتى لو كانت حريتنا أو حياتنا؛ فحاولي أن تستمتعي بها؛ فنحن الآن أعظم اثنين ربما على مَرّ التاريخ، وهناك الكثير يطمنون أن يقفوا مثل هذا الموقف حتى لو بذلوا دماءهم، وسأذكرك قريبًا بأننا سنغير مسار التاريخ إلى الأفضل، وسيظل العالم على مَرّ الدهور يتذكرنا إلى الأبد. فهذه اللحظة تستحق أن نقف أمامها رافعي الرأس راسخين كالجبال لا نلوي على شيء.

بمجرد انتهاء أنس من كلامه زال كل ما اعتور أخته من ارتباك وخوف. حتى انسلت في صمت إلى المكعب التالي تملؤه بجزيئات المادة المضادة دون تردد.

كانت تراقب عن طريق جهازها اللوحي الذي أوصلته بشبكة المراقبة عند تعطيلها وفصلها عن المراقبين الممرات المفضية إلى غرفة التحكم؛ وعندما وصلا إلى المكعب السابع شعرت بحركة مريبة وأن الأمر ربما قد انكشف،

وأحست بالخطر فصاحت: "أنس" يجب علينا المغادرة في الحال. وفي هذه اللحظة كان المكعب السابع قد امتلأ بجزيئات الماء المضاد . فنزعه من الجهاز وخرجا مسرعين بعد أن اتجها إلى الهو الرئيسي، ولكنهما شعرا بوقع أقدام بنهاية الممر المؤدي إلى الصالة الرئيسية: فصاحت أخته بعد أن وضعت يدها على قممها: يا إلهي لقد قُبِضَ علينا.

فتراجعا تلقائيًا إلى بداية الممر مرة أخرى ورأت فاطمة علامة تدل على مخرج للطوارئ في أعلى باب بأحد جانبي الممر، فأشارت إلى أنس، ثم أشارت إلى العلامة. وبالفعل انطلق الأخوان بعد أن قررا أن يدلفا بداخله دون أدنى تردد وبدأ بالسير دون أن يريا نهايته. وتساءلت فاطمة: إلى أين سيؤدي بنا هذا الممر؟ فقال أنس: إلى أي مكان، المهم أن نبتعد من هنا.. ثم أضاف: فهذا المخرج هو للطوارئ؛ فبال تأكيد سيأخذنا للخارج، ثم تبسم قائلاً كأنهم يعلمون بأننا سنأتي إلى هنا.

وبعد فترة قصيرة من الهرولة انتهى الممر بباب يُفضي إلى الصالة الرئيسية التي كانا يجلسان بها، وكانت خالية من أي حركة؛ فصاحت أخته: لقد قلت بأن الممر يمتد إلى الخارج. فقال: انتظري؛ فربما لم يكتشف أمر تشغيل المسرع بعد؛ فالأمور هادئة. وبدأ بالسير بعد أن التصقت به أخته من الخوف، وعبرا الصالة وقبل أن يصلا إلى الباب الرئيسي المفضي إلى حديقة المعهد، رأيا مجموعة من الأشخاص يسرون باتجاههما، فالتصقت فاطمة بأخيم أكثر حتى كادت أن تتعلق بذراعه، فقال أنس سريعاً: انظري إليهم جيداً؛ فهم يحملون الكتب، إنهم طلاب يدرسون في المعهد، وانظري عبر النافذة فقد بزغ ضوء النهار؛ فنحن الآن بأمان. فقالت أخته بعد أن حاولت الحفاظ على ما بقي من رباطة جأشها؛ ولكننا ما زلنا داخل المعهد. فأضاف أنس: وحتى لو اكتشفوا تشغيل المسرع فسيكون من العسير إيقافنا إلا لو

التقطوا صورنا وهذا مستحيل؛ فقد قمت بتعطيل أجهزة المراقبة بالكامل
أليس كذلك؟ فقالت مترددة: أعتقد ذلك. وبمجرد أن خرجا إلى حديقة
المعهد حتى رأياها تعج بالطلبة.

وعند اقترابهما من الباب الرئيسي للحديقة، قال أنس: سيري بجاني بثبات،
واتركي يدي، ولا تتكلمي أو تصدري أي حركة غريبة حتى نعبّر الحُرَّاس.

وعندما اقتريا من الحراس على بوابة الخروج الرئيسية التي تنتهي خارج
المعهد حتى أصبحا بمحاذاة الحرس.. فجأة خرج صوت من جهاز الإرسال في
يد أحد الحراس. فتوقفت فاطمة وارتعدت ثم قالت: يا إلهي لقد انتهى
الأمر. فجذبها أنس نحوه حتى تكمل المسير، ونادى الصوت على الحراس
بضرورة العودة إلى داخل المعهد فربما تكون هناك مشكلة. فهرولوا إلى
الداخل واستكمل الأخوان مسيرهما لا يكادان تصديق أنهما خرجا سالمين،
وأن الأمر قد تم على ما يرام وبحوزتهما سبعة مكعبات من الماء المضاد؛
فانفجر أنس ضاحكاً منتشياً لا يصدق بأنه نجح بالفعل، واكتفت أخته
برسم ابتسامة باهتة على شفرتها؛ فلم تخرج بعد من حالة الخوف والرعب
التي أصابتها. وما إن وصلا إلى الطريق حتى أوقفا سيارة وانطلقا متجهين إلى
الفندق، ثم قال أنس: كلها سويغات حتى يكتشفوا أن ماحدث ليس خللاً
فنياً، وأنه بفعل فاعل. فردت أخته بلهجة ملؤها التوتر: ربما لن يكتشفوا
ذلك أبداً. فقال أنس: وإن فعلوا، فلا تقلقي، سنكون قد خرجنا ووصلنا إلى
أرض الوطن فهدئي من روعك.

رجعا إلى الفندق والدهشة بادية على وجهيهما، ثم قالت فاطمة: يا إلهي..
نحن نمتلك سبعة مكعبات من الماء المضاد، هل تعرف ما معنى ذلك؟ لم يبدُ
على أنس أنه سمع شيئاً.. فنظرت إليه فوجدته ساهماً كأنما انفصل عن
الواقع.

كان كل شيء جاهزًا ومعدًا سلفًا، فأخذنا أمتعتهما، وانطلقا إلى المطار وتاه أنس في أحلامه بعد أن تيقّن بأنه اقترّب من تحقيق حلمه، ولم يعد سوى خطوات قليلة تفصله عن امتلاك آلة النقل المنشودة.

أما فاطمة: فقد انشغلت في كيفية الخروج من المطار بهذه المكعبات؛ فبالرغم من أن المكعبات لا توحى بأي شيء مريب فهي تحتوي على سائل لا أحد يستطيع تمييزه عن الماء العادي، لكن الموقف لا يحتمل أي مجازفة؛ فإن كانت تحوي ماء إلا أنها في حد ذاتها تثير الشك فماذا لو حاول أحد فتحها للتأكد من محتوياتها، عندها ستحدث كارثة لا محال بعد أن يختلط ذرات الماء المضاد مع ذرات البخار المتواجد في الهواء. كانت قلقلة أشد القلق حتى وإن لم يتم فتح المكعبات؛ فربما يتم فحصها من الخارج، وبالتالي قد يتأخران وسيكونان عرضة للوقوع في يد الشرطة إذا انكشف أمر المعهد وعندها أيضًا سيحدث ما لا يحمد عقباه.

وأخذت تتساءل: ما الحل إذًا؟! فقال أنس: الحل الوحيد تجنب تفتيش الحقيبة التي تحتوي على المكعبات، فرمقته بنظرة ملؤها الإنكار، وسألته متهمكة: كيف نستطيع تجنب تفتيش الحقائق؟! فقال: حقائق الدبلوماسيين لا يتم تفتيشها، فتساءلت بغیظ: ثم بعد؟! فقال أنس: ماذا عن أخيك محمود، ربما استطاع مساعدتنا. ففغرت فاهما وعلى وجهها نظرة حمقاء، ثم قالت: هل تظن ذلك؟ فأنا حتى لا أعرف رتبته بالجيش.

فقال أنس: ليس أمامنا حل آخر، دعيني أتصل به ولنرى، ثم أمسك المحمول واتصل بأخيه.

تردد محمود بعد أن سمع صوت أنس؛ فهو لم يهاتفه قبل ذلك. وتساءل كيف امتلك أخي هاتفًا من الأساس، ثم أنه من المنطقي أن يكون بجوار

غنمه الآن يرعاها . وسمع صوته يقول أنا وأختك الآن في ورطة ونعتقد أنك تستطيع مساعدتنا إننا في مطار كاليفورنيا بأمريكا.

بعد أن سمع محمود هذا الكلام، أغلق الهاتف بعد أن تيقن بأنها ليست سوى مزحة ثقيلة وانتابته نوبة من الضحك، وأخذ يقول: أخي في كاليفورنيا بأمريكا. يالها من مزحة ثقيلة.. بل هي بالفعل مزحة، وبعد أن هدا، أخذ يتساءل: ياترى من هذا الذي يمازحني بالتأكيد أنس الآن يرعى غنمه ويردد وهو يتضحك بينما يضرب كفاً بكف: أخي في مطار كاليفورنيا، هذا مستحيل!

وبعد دقائق، رن جرس الهاتف مرة أخرى وظهر نفس الرقم؛ فقال مغتاظاً: من هذا المعتوه؟ يظنني أملك من الوقت ما يجعلني أبدده مع أمثاله. وعافى الرد فرن الهاتف مرة أخرى، فقال: الآن سأسمعه من القول ما يسوءه. وبمجرد أن وضع السماعة على أذنه، سمع صوت أخته تكيل له السباب، فقام منتصباً من جلسته، وردد: فاطمة.. فاطمة، فقط اهدئي حتى أتبين الأمر. وأخذت تصيح: أنا وأنس في مأزق، وليس هناك أحد غيرك يستطيع مساعدتنا، ولا نثق بأحد آخر، وأنت تغلق الخط في وجه أخيك ماذا دهاك؟ فقال محمود متلعثماً: لقد ظننت أحداً يمازحني، ثم سألتها: أي مأزق؟ فقط اهدئي وأخبريني. فقالت: نحن الآن في مطار كاليفورنيا، معنا ماء يزن 70 جراماً في 7 مكعبات من الماء ليس أي شيء آخر؛ فسألها محمود: طالما أنه ماء فما المشكلة إذًا؟! فصاحت متلعثمة ليس ماء عادياً، ولكنه ماء.. ثم أضافت بصوت حاد: لا أستطيع الآن أن أخبرك بالتفاصيل، لكن تيقن أنه ماء، ثم تابعت: نريد صعود الطائرة دون تفتيش الحقيبة التي تحوي الماء. وهم محمود للسؤال، فقالت له: ليس هناك وقت للتفاصيل، أنا أعلم جيداً أنك تثق بي ولا يمكننا توريطك في أي مشكلة؛ فإما أن تتصرف وإما أن نجازف

ونرى كيف سيتحمل ضميرك عدم مساعدتك لإخوتك إذا حدث لنا مكروه.
فقال محمود: سأفعل ما باستطاعتي. ثم أضاف: فقط أعطني رقم الطائرة
وموعد الإقلاع وسأتصرف.

بدأ القلق يصيب الأخوين بعد أن مضت عشرون دقيقة دون حدوث شيء
حتى أن محمود لم يعاود الاتصال. و لم يتبق سوى 5 دقائق على إقلاع
الطائرة، وبدأ المذيع ينادي على المتأخرين من الركاب. بدأت فاطمة تفقد
الأمل في أخيها محمود، ثم نظرت إلى أنس وقالت: أعتقد أن أخاك لم يستطع
فعل شيء؛ فليس أمامنا سوى الصعود على متن الطائرة أو الرجوع، وكلاهما
مجازفة.

فقال أنس بعد أن أشاح ببصره كأنما يخاطب نفسه: كل شيء فعلناه كان
ينطوي على نسبة كبيرة من المخاطرة؛ فلماذا نقف هنا؟ وهم بالقيام واتجه
إلى بوابة التفتيش، فتبعته أخته وسارا باتجاه ممر التفتيش لا يوليان على
شيء، واقترب أنس حتى كان يفصل بينه وبين نقطة التفتيش شخصان وهو
يحمل حقيبة المكعبات وفي ظهره أخته قد أصابها من الارتباك ما جعل
عينها تزيغ وقلبي يضطرب خوفاً حتى شعرت بأنفاس شخص يقف خلفها
كأنما يتبعهما، وتقدم خطوة حتى وقف بجانبها؛ فاهتزت اضطراباً، وارتجف
أنس بعد أن انتبه هو الآخر، ونظر إلى الخلف دون أن ينطق، وسارع الرجل
وسألها بلهجة مصرية بعد أن أبرز صورة من جيبه، ونظر فيها بتمعن، ثم
أعاد ببصره باتجاه فاطمة: هل أنت د/فاطمة؟ تملكها إحساس بالخوف،
وزاد قلبها اضطراباً وخفقاناً، سرعان ما تبدد بعد أن سألها أن تريحه بطاقة
التعريف، وأخبرها بالأقل تقلق فهو من طرف أخيها محمود، ثم سألها أن
تعطيه الحقيبة، فأعطتها له بتردد بعد أن نزعتها من يد أنس؛ فلاحظ
اضطرابها، وقال لها: لا تقلقي فلن يرى أحد ما بداخلها، وزيادة على ذلك

سأكون مرافق لكما طوال الرحلة، والحقيبة ستظل بيدي أمام أعينكما. شعرا بالاطمئنان وعاد الرجل بالحقيبة في نهاية الصف وانطلقا مسرعين قبل أن تقلع الطائرة.

وعندما عبر الأخوان بوابة التفتيش، التفتا يراقبان الرجل بحذرٍ، وعندما وصل، أخرج بطاقة من سترته، وأشهرها أمام المفتشين، وعبر هو الآخر بسلاسة.. وهكذا صعد الثلاثة إلى الطائرة بعد عناء.

كانا مرهقين إلى حدٍ كبير؛ فنام كلاهما طيلة الرحلة. وعند نزولهما مطار القاهرة خرجا بسلاسة، وخرج الدبلوماسي كما دخل. وعند باب المطار سلمهما الحقيبة وشكراه بحرارة، وسألته فاطمة: نحن لم نتعرف عليك بعد حتى إننا لم نعرف اسمك! فنظر إليها باسمًا، ثم قال: من الأفضل لكيّنا ألا نتعارف. ثم انصرف متواريًا عن الأنظار بعد أن استأذن وخرج من المطار.

ذهب أنس إلى بيت الغنم، وعادت أخته إلى منزلها وبجوزتها حقيبة المكعبات، واتفقا على أن يتقابلا في الغد عند الساعة العاشرة صباحًا في بيت الغنم.

* * *

حتى كاد أن يصل

في صباح اليوم التالي اتصلت فاطمة بأنس، وأخبرته بأنها في طريقها إلى بيت الغنم. وبعد أن وصلت سلّمت عليه ثم جلست وخيم الصمت عليهما كان كلّ منهما ينتظر الآخر أن يبدأ بالحديث. وبعد فترة ليست بالقصيرة، لم تجد مناصا من كسر حاجز الصمت: فنظرت إليه، وقالت له: وماذا بعد؟!

فتبسم أنس ثم: قال: لقد قطعنا شوطاً كبيراً بالفعل، ولكن القادم ربما يكون أصعب، ونحن الآن في منتصف الطريق، وليس هناك ما يدعونا للتوقف أو بالأحرى لا يستطيع أحد أن يثنيني عن التقدم تجاه الخطوة التالية، ثم إنني متحفز إلى أقصى درجة ويغمرني الحماس للمتابعة.

فقالت: وأنا الآن أكثر تطلعاً منك، ولكن ألا تعتقد بأنه قد حان الوقت لتكون أكثر وضوحاً معي؛ فأنت إلى الآن لم تخبرني لماذا تريد الحصول على الماء المضاد، لقد قلت بأنك ستخبرني بكل شيء في موعده، هل ترى أن هناك وقتاً أنسب من ذلك؟! وبدأت تحرك يديها ترفعها تارة وتخفضها أخرى ثم قالت بصوت واضح وبكلمات متقطعة: ها نحن قد حصلنا على الماء المضاد، ألا تعتقد أنني أستحق معرفة كل التفاصيل التي تدور بعقلك؟! بينما أنس يلوذ بالصمت حتى انتهت ويداها على خصرها وألقت بجسدها على إحدى

قدمها بينما الأخرى محنية بارزة إلى الأمام، ثم أضافت بلهجة ملؤها الغضب: لنكن واضحين، لن أخطو معك خطوة أخرى حتى تخبرني لماذا تريد هذه المادة؟! لقد عرّضت نفسي ووظيفتي للخطر. أريد أن أعرف من أجل ماذا؟!

فقال أنس: يا أختاه أنتِ أهلٌ للثقة، وكنت سأخبرك دون أن تلقي على هذه المحاضرة، لكن أخاف أن تهميني بالجنون. فصاحت: لو كنت بهذه العقلية لاهتمتكم منذ زمن، وماذا تسمي ما فعلناه، أليس هذا هو الجنون بعينه؟! هل تعتقد أن هناك جنوناً أكثر من هذا؟!

فقال أنس: إذاً سأخبرك، ولكن عديني ألا تثوري عليّ؟ فأومأت برأسها أنها موافقة.

فقال بصوت متلجلج بعد أن أشاح ببصره بعيداً: أريد الماء المضاد لإنتاج طاقة هائلة قادرة على حني المكان وإيقاف الزمن، ثم صمت برهة وأضاف بلهجة جامدة بعد أن رمق أخته بنظرة فاحصة: لصنع آلة قادرة على نقل الأشياء المادية في وقت أقل من ثانية وبأي مكان على وجه الأرض، وربما لأي مكان في الكون.

ثم أضاف: ستكون هذه الآلة قادرة على خلق فجوتين في أي مكان على الكرة الأرضية بواسطة الطاقة الناتجة عن المادة المضادة؛ وسأعمل على تقريب هاتين الفجوتين من بعضهما من خلال مسارات خاصة، وبالتالي أستطيع نقل الأشياء المادية من خلالها.

كانت تستمع فقط بعد أن أشاحت بوجهها بعيداً عنه، ولم تنبس ببنت شفة، ولم تحاول مقاطعته، وبدأت ساهمة. وعندما انتهى من كلامه، نظر إليها فلم يتبين شيئاً من ملامحها التي كساها الجمود؛ فانتظر صيحاً

كالعادة، لكنها انتصبت واقفة واستدارت ببطء ثم ركبت سيارتها وانطلقت، فهزَّ أنس منكبيه وقطب جبينه غاضبًا، ثم زم شفتيه وحرك رأسه معترضًا حتى ضرب كفًا بكف، ثم صاح: هذا ماكنت أخشاه.. هذا ماكنت أخشاه.

انقطع الاتصال بين الأخوين ما يقارب الأسبوع، ولم يحاول أحدٌ كسر هذا الجمود، حتى عزم أنس على الذهاب إليها واتجه بالفعل إلى الجامعة.

طرق الباب فصاحت تفضل دون أن تتبين من الطارق؛ فدخل أنس، وقبل أن يسلم عليها رمقته بنظرة حادة ثم بادرت قائلة: أنت كما ترى قد رجعت إلى سابق عهدي وإلى حياتي الطبيعية، ولم يحدث شيء لوظيفتي، وقد حمدت الله بأن ما فعلناه في معهد كاليفورنيا لم يُكتشف بعد. وما أزال قلقة بعض الشيء جراء ما فعلنا. أما الماء المضاد فليس لي فيه حاجة وتصرف فيه أنت كما شئت.

وهنا جلس أنس دون أن يبدي أي اهتمام لكلام أخته وكان مازال واقفًا ثم قال: لقد درست هذه الآلة بعناية فائقة ثم دسَّ يده بحقيبتة، وأخرج بعض اللفاف، ثم أشار إلى ما في يده، وأضاف: وقد قمت بوضع الرسومات والتصميمات اللازمة لتشيدها، وانتهيت منها تمامًا، ولم يعد هناك سوى التنفيذ على أرض الواقع لترى النور، ولكن أحتاج مساعدتك؛ فأنا أثق بك، ثم أنني بالإضافة، لا أعرف أين أقوم ببناء الآلة؟!

فصرخت قائلة: لا أريد سماع شيء عن هذا الموضوع، لقد انتهى النقاش. فقال أنس بلمحة باردة وتابع متجاهلاً كأنه لم يسمع شيئاً؛ سأشرح لك فكرة عمل الآلة، وبعدها خذي قرارك، وسأقبل به أيًا كان، هل نحن متفقون؟!

فصمتت قليلاً، ثم قالت: نعم.. فتملكته الدهشة، وتساءل كيف قبلت بهذه السهولة؛ لقد ظن بأنها ستقتنع في النهاية، ولكن ربما في نهاية اليوم، وبعد

عدة محاولات، وربما بعد أيام، لكنها أبدت موافقتها على غير ما أضمرته بداخلها على أن تستمع فقط ثم تبدي موافقتها الكاذبة في النهاية على كل ما سيقول تجنُّباً لغضبه؛ ظناً منها بأن هذا سينهي الموقف بسلام. فسألها أن تعطيه ورقة وقلم، وجلس بجانبها، وقال لها أريدك أن تنتبهي إلى كل ما سأقول، سأشرح الآن فكرة عمل الآلة.

- إذا أردنا نقل شيء مادي محسوس، لابد من إنشاء وسط أو مسار خاص به كنقل الصوت في الفضاء على اعتبار أنه موجات واعتبار الوسط المناسب هو الهواء، أما المسارات فهي مجالات وهمية؛ حيث يتم تحويل الصوت إلى إشارة كهربية عن طريق الميكروفون، ثم يتم إرسال الإشارة الناتجة بموجة ذات تردد معلوم؛ حيث تنتشر في الفراغ عن طريق هوائي مناسب. وأيضاً المواد الصلبة لها القدرة على نقل الأصوات؛ فهذا يعتبر أيضاً وسط مناسب بمعنى أن لكل جسيم أو مادة وسطاً خاصاً به يمكنه الانتقال من خلاله؛ فإذا استطعنا إنشاء مجال أو مسار خاص لنقل شيء مادي فقد وصلنا لما نريد.

تخيلي لو استطعنا التحكم في الطاقة الناتجة عن التقاء الماء والماء المضاد؛ فسنتمكن عند ذلك من خلق فجوة مكانية تمتلك أو تفتح عدداً لا نهائي من المسارات؛ بحيث لو تم إلقاء شيء مادي في هذه الفجوة سيضيع في إحدى هذه المسارات اللانهائية؛ "الزمان والمكان"، ولن يمكننا إيجاده بسهولة. وإذا تمكَّنا من خلق فجوة أخرى في مكان آخر يبعد عنّا آلاف الكيلو مترات؛ بحيث تكون الفجوة الثانية ناتجة عن نفس مقدار الطاقة التي بُنيت بها الفجوة الأولى فسنتمكن من أسرِ مسارٍ من هذه المسارات اللامتناهية، ومن ثمّ يمكننا التحكم به؛ عند ذلك، وعند زيادة قوة الطاقة المتولدة في نهاية كُلِّ من الفجوتين؛ بحيث يعتمد مقدار الطاقة المطلوبة على طول المسار أو بعد

الفجوتين عن بعضهما سيكون من اليسير عند ذلك أن نحني المكان داخل المسار؛ بحيث تتقارب الفجوتان حتى يكاد أن يلتصقا ويقصر المسار إلى أقل ما يمكن بينما تبقى المسافة خارج المسار ثابتة، ودعيني أوضح لك أكثر.

وأثناء الشرح لم تنطق فاطمة بكلمة واحدة وبدا عليها أنها لم تفهم أيًا مما قال، لكنها في الحقيقة استطاعت استيعاب الخطوط الرئيسية، والفكرة العامة لآلة النقل، وأسرتها طريقة أنس في الشرح، وقدرته على الإبانة والإيضاح، ثم تنهى إليها بأن هذه الفكرة جديرة بالمغامرة، وتستحق المجازفة والاختبار، لكنها للأسف لا تستطيع الجزم بصحتها على الرغم من وضوحها؛ فهي مبنية على نظريات لم يقل بها أحد من العلماء السابقين.

وبعد أن انتهى من الشرح صمت هو الآخر في انتظار أن تدلو أخته بدلوها، ثم قالت بصوت هادئ: أنا أشعر بالقلق وينتابني شعور بالخوف.. وصمتت قليلاً، ثم تابعت بعد أن رفعت رأسها إلى أعلى كأنها تنظر إلى شيء في سقف الغرفة: لقد داخلي شعور قوي بأنه يجب التخلي عن المضي قدماً في هذا الطريق؛ فأنا أرى نُذراً تلوح في الأفق - ثم أطرقت رأسها وقالت بصوت خفيض كأنما أرادت أن تتوقف عن الكلام- وتمتعت: "بوقوع خطب جلد". وصمتت برهة ثم أضافت: أعتقد بأننا قد نرتكب حماقة ربما نندم عليها ما حيننا، ففقهه أنس وكاد أن يقع على قفاه من شدة الضحك، ثم قال: لم أكن أعلم بأنك تستطيعي التنبؤ بالمستقبل؛ إذًا فأنت تستطيعين قراءة الكف وقراءة الطالع ... فرمته بنظرة حادة ثم استقامت واقفة وبدا الغضب يتأجج بعينها فكف عن الضحك، وصمت قليلاً، ثم قال: انظري إلى كل ما فعلناه ألا يعد حماقة من وجهة النظر هذه، ولو نظرنا إلى كل خطوة نخطوها بهذا التشاؤم فلن نتقدم خطوة أبداً، انظري وتألمي جيداً ماذا لو قلت هذا الكلام في السابق وتراجعنا عن الذهاب إلى كاليفورنيا؟ لم تكن

لنحوذ على الماء المضاد أبداً. الإرادة يا أختي هي التي تصنع المعجزات، وحيث يوجد النجاح توجد الإرادة؛ فهذه هي الكلمة الأولى، والسر الأعظم الذي عرفته وهي المفتاح السحري لتحقيق المستحيلات؛ فالإرادة هي التي أمدتنا بالقوة لبناء الحضارات والعجائب، ومن دونها لصرنا والحيوانات سواء.

فأنا مؤمن تماماً بأنه لافائدة على الإطلاق في استنفاد حياتي في الأمانى الباطلة دون إرادة تدفعها، عند ذلك ستصير المستحيلات ممكنة. لن نستطيع الوصول إلى أي نجاح سوى بالإرادة وعلى قدر إرادة الشخص يكون نجاحه. وبصراحة لا تهمني هذه التوصيفات التافهة التي تُعجز الهمم وتقتل الإرادة؛ فأمامي هدف سأصل إليه حتى لو خذلي الناس جميعاً، ولو وقف العالم كله بوجهي سأصل إليه أو أموت دونه، طالما أنه هدف نبيل، فتبسمت فاطمة وخيم الصمت على الأخوين، وبعد قليل قالت بعد أن رمقت أخابها بنظرة حادة هادئة: هذه مخاطرة كبيرة، ولو حدث خطأ بسيط في أي مرحلة من مراحل بناء أو تشغيل الآلة؛ فسيحدث ما لا يحمد عقباه، وسنكون أمام انفجار هائل لا ندري كنهه على وجه الدقة، ربما لم ولن تراه البشرية قبل أو بعد ذلك، وقد تتدمر أجزاء كبيرة تمتد إلى مئات الكيلو مترات أو ربما أكثر وستكون البشرية أمام شيء جديد عليها أن تتعامل معه؛ فأنا لا أستطيع التنبؤ بما سيحدث، ولكن أعتقد أنها ستكون فاجعة عظيمة.

فقال أنس: سنحرص بكامل جهدنا على ألا يحدث خطأ ولو بسيط، وأعتقد أننا نُكوّن فريقاً جيداً نستطيع تلافي أي خطأ محتمل، وسنراجع حساباتنا مائة مرة قبل أن نبدأ في أي خطوة. ثم قال أنس بعد أن حدجها بنظرة ماكرة: ولكن أراك موافقة على البدء أليس كذلك؟!

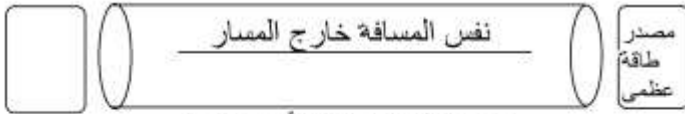
فقالت: لا أنا غير موافقة، وضميري لا يستطيع أن يتحمل نتيجة ماسيحدث. فقال أنس غاضباً: لماذا تُقَدِّرين الأسوأ دائماً؟ لم تعرف بماذا تجيب، ولكنها توجهت ببصرها إليه وقالت: ستكون أنت المسئول - كأنها تريد أن تخلي مسئوليتها مسبقاً - إذا حدث مكروه. فصمت أنس قليلاً ثم قال: إذا فشلت التجربة فأعدك بأن ضمايرنا ستكون في راحة تامة، ولن تؤنبنا أو تلومنا على الإطلاق بالرغم من أننا سنكون مسئولين أمام أنفسنا وأمام الله إذا حدث ما لا يحمد عقباه. فرمقته بنظرة فاحصة متعجبة، وتساءلت: كيف سنكون مسئولين عن ما سيحدث ولن تلومنا أنفسنا؟ فأجاب أنس بجملة مقتضبة: "لأننا سنكون أول الهالكين".

فوجمت صامتة لم يدر بخلدها أبداً بأنه لو حدث انفجار سيموتان. لقد ظنت بأنهما سيكونان بمنأى عن الواقعة.

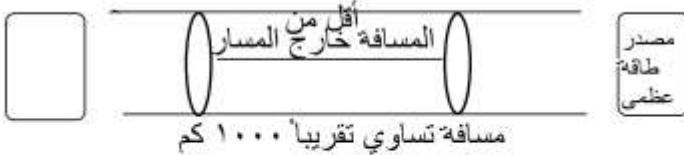
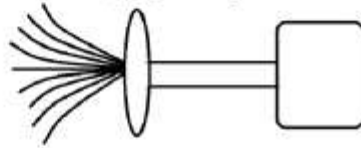
ثم خيم الصمت على المكان وكأنهما يفكران في عواقب ماسيحدث. سواء عواقب النجاح أو الفشل. وبعد قليل قالت فاطمة: ولكن أين سنبني هذه الآلة إذا أردنا ذلك؟! فهش وجهه متبسماً ثم أجابها على الفور: في البيت القديم "بيت الغنم"

وخيم الصمت مرة أخرى لعدة دقائق حتى تاه كلُّ منهما في خيالاته، ثم قالت: متى سنبدا؟ فقال أنس: نستطيع البدء من الغد، بل من الآن. ثم أستاذنها للخروج من المكتب خشية أن تسحب موافقتها قائلاً: سأعود الآن إلى بيت الغنم في القرية لأعمل على ترتيبه، ثم قال: سأنتظرك في صباح الغد.

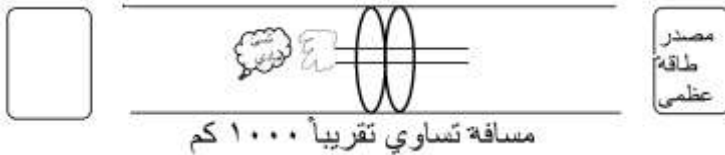
فلم ترد عليه كأنها لم تسمع كلمة مما قال: فقد بدت كأنها شاردة الذهن.



مسافة تساوي تقريباً ١٠٠٠ كم
عند زيادة الطاقة بالتساوي عند كلا الفجوتين
تستطيع أن تسيطر علي مسار من هذه المسارات
أما إذا أنشأت فجوة واحدة بمصدر طاقة واحد فستنتج
مسارات لانهائية.



عند زيادة الطاقة عند كلا الفجوتين بالتساوي تتقارب
الفجوتان مع زيادة الطاقة حتي يكادا أن يتلامسا



لم يستطع أنس أن يهدأ، وجافاه النوم طيلة الليل فعكف على ترتيب أفكاره،
وبدأ في إعداد غرفة لبناء الآلة استغرقت حتى الصباح.

وصلت فاطمة حوالي الساعة الثامنة صباحًا؛ فوجدته مشغولًا في تدوين أوراق تحت يده، فسألته: ماذا تفعل؟ فقال أنس: أقوم بكتابة وتدوين كل ما يتعلق بالآلة من معلومات حتى يسير العمل بخطوات محددة وبنظام ثابت. وكان البحث يتضمن أربعة عناصر رئيسية فيما يقارب 300 ورقة، كان ملخصها كالآتي:

1- طريقة إنتاج الطاقة من الماء المضاد: عندما تندمج ذرة مع ذرة مضادة من نفس النوع تفني الذرتان وتنتج طاقة كهرومغناطيسية هائلة؛ فإذا تقابل جرام من الماء المضاد والماء العادي سوف تنتج طاقة هائلة يقدرها أنس بأنها تعادل طاقة ناتجة عن انفجار ما يتعدى عدة آلاف من القنابل النووية، وهذا كافٍ لإبادة أجزاء كبيرة من الكرة الأرضية.

2- طريقة التحكم في الطاقة الناتجة عن اندماج الماء والماء المضاد: وهنا كانت المعضلة التي استعصت على الحل، وكادت أن تفشل جميع الخطط المرسومة من أجل اختراع الآلة. وأخذ الأخوان يدرسان كيفية التحكم في هذه الطاقة.

توصل أنس إلى فكرة مفادها إنشاء جهاز يستطيع أن يدمج على مستوى الذرات، وليس على مستوى الجزيئات هو أمر حتمي لا مفر منه؛ فمن المستحيل أن يستطيع التحكم في المادة المضادة وهي في حالة جزيئية؛ فقام بوضع تصميم دقيق لجهاز التجزئة والدمج، ثم وضع تقيماً أولياً لهذه الوحدة. وأسمها "وحدة التحكم في الطاقة"

فطلبت منه أخته أن يدع هذا الجهاز لها، بعد أن عرض عليها تصميمات الوحدة وقامت بدراستها وعكفت على تصنيعها بمعمل الجامعة متقيدة بالتصميم الذي وضعه أنس. ولم يمض أسبوع من الجهد الشاق المضني

حتى استطاعت أن تنتهي من تكوين الوحدة، بعد أن استعانت بما ظنت أن بمقدوره تقديم المساعدة حتى انتهت من إنشائها، وبلغ حجم الوحدة 50 سم طولاً و25 سم عرضاً و12.5 سم ارتفاعاً وتزن ما يقارب 50 كيلو جرام. فاتصلت على أنس وأخبرته بأنها أنهت تصنيع الوحدة الآن. وقالت أحتاج نقلها إلى بيت الغنم. فقال: نعم سأعمل على ذلك، ولكن سنحتاج إلى وحدة أخرى فلم تناقشه، وقالت: خلال أسبوع ستكون وحدة الطاقة الأخرى بحوزتك، وشرعت على الفور في تصنيع الوحدة الثانية. وبعد خمسة أيام اتصلت به وقالت: سأنقل وحدتي التحكم في الطاقة في حوالي الساعة الخامسة فجراً. فأخبرها بأنه سيكون بانتظارها.

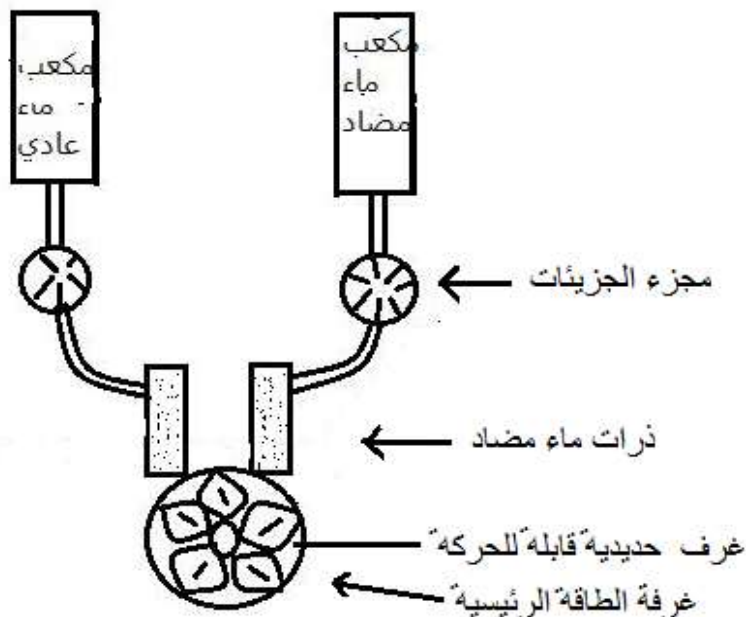
وبعد أن وصلت فاطمة عرضت وحدتي التحكم في الطاقة على أنس قائلة: لقد أنهكتني هذه الوحدة، فما بالك بالآلة؟! فردد أنس وهو يتفحصها: الصبر الصبر. عليك بالصبر؛ فهذه هي الكلمة الثانية والسر الآخر للوصول إلى بُغيتنا؛ فالصبر هو الذي يميّز العمالقة من الأقزام، وهو الذي يكشف عن العظماء، وبدونه لن نصل إلى المراد، لقد ظللت أكثر من 20 سنة وأنا أبحث في بطون الكتب دن كلل أو ملل حتى أصل لهذه النقطة، ولو صبرت أكثر من ذلك لوصلت إلى أبعد من هذا. وأنشد:

"عليك بالصبر إن الصبر مفتاح
لكل أمر مستصعبٍ وعِرٍ"
"لقد صَبَرْتُ على عِقْدَيْنِ من بحث
حتى وصلت إلى آلة النقلِ"
"ولو كنت قد أكملت الدهر صَبْرًا
لربما أدركت ألفين من عقلِ"
"لقد سَخِطَ في قلب العلوم مغامرًا
مستأنسًا بالصبر كالرئبالِ صُلْدٍ"

ففغرت أخته فاها وجحظت عيناها، وأخذت تتضحك ثم قالت: ماذا تقول؟ وضربت يدها كَفًّا بكف، وأضافت وعجبي، الآن صرت شاعراً بعد أن كنت حكيماً، وهذا كله في خمس دقائق فقط. فنظر إليها أنس مبتسماً، ثم

قال: إذاً لن نستطيع تجربة الوحدة منفصلة عن الآلة، معنى ذلك أننا لن نعرف أي صالحة للعمل أم لا إلا أثناء تشغيل الآلة، فتساءلت فاطمة: سنختبر كل الأجزاء في وقت واحد؟ هذا لا ينذر بخير.

ولم يكد أن يُنهي هذه المعضلة حتى وقفت أمامهما عقبة أخرى: وهي كيفية تصنيع غرفة الطاقة الكروية التي تحتوي على حواجز فولاذية يتم التحكم بها عن طريق تحريكها لدمج الطاقة أو تجزئتها وعزلها داخل كرات صغيرة بداخل الكرة الكبيرة، وفي أيام معدودة تم إنشاء غرفة الطاقة الكروية ودمجها مع وحدة التحكم في الطاقة.



وحدة التحكم في الطاقة

ثم جاء أنس بالتصميم النهائي لآلة النقل، ثم قال لأخته بعد أن وضع التصميم بين يديها: ليس علينا الآن سوى تجميع وإعادة ترتيب أوراقنا حتى نبدأ في تركيب الآلة.

وعندما اطلعت على تصميم الآلة ودقتها، انتابها شعور قوي بأنهما سيران في الاتجاه الصحيح، وأنهما يخطوان بخطى وثيدة ومحسوبة نحو النجاح في إنشاء الآلة.

قال أنس: أخشى أننا سنحتاج إلى آلتين لصنع فجوتين متباعدتين. فقالت: لم يعد معي من المال ما يكفي، وبدأ زوجي يسألني أين أبدد كل هذه الأموال؟! وبدأ يشك، بل أصبح على يقين بأنني أقوم بإخفاء أمر ما. فتمتم أنس بكلمات غير مفهومة، ثم قال: نبدأ أولاً في تركيب الآلة ثم نفكر في الباقي فإذا صنعنا هذه الآلة لن تعد هناك صعوبة في تقليدها، وستأخذ وقتاً أقل، فأومأت أخته برأسها بأنها موافقة، وبالفعل شرعا في تكوين آلة النقل..

استغرق الأمر شهراً كاملاً من الجهد والتعب بسبب معوقات ومشاكل فنية سرعان ما قاما بحلها؛ فقد كانت هذه المشكلات البسيطة هي السبب الرئيسي في هذا التأخير. وبعد الانتهاء من إنشائها تنفسا الصعداء، ثم وقفا ينظران إلى الآلة بإكبار وإجلال، كأنما يهاباها. ونظر الأخوان إلى بعضهما تعلو وجه كل منهما ابتسامة هادئة، وصاح أنس بعد أن اقترب من الآلة، وبدأ يطرق عليها طرْقاً خفيفاً وهو يقول: لقد اقتربنا ولم يعد سوى تشغيل هذا العملاق الصغير. ثم قالت فاطمة بعد أن رمقته بنظرة تشي بالتوجس والخيفة: ما رأيك في أخذ راحة لمدة أسبوع بعد هذا العمل الشاق؟ فوافق أنس على الفور، كأنهما أرادا الابتعاد عن الآلة خوفاً من البدء بتشغيلها.

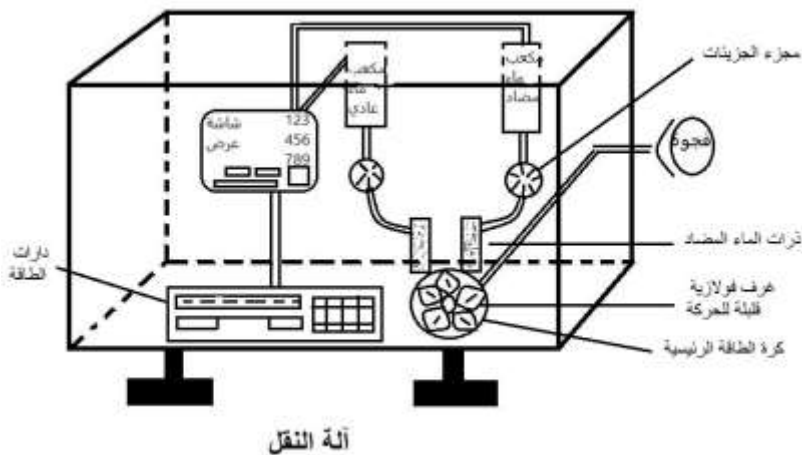
لم يجد أنس أفضل من رعي الغنم لعله يتذكر الماضي الجميل، وبالفعل استجم كأنما قضاه على شاطئ هادئ جميل، استمتع بقراءته كالمسابق حتى بدأ يحن إلى أيامه الجميلة.

أما فاطمة، فقد عكفت في بيتها لإعادة ترتيبه بعد أن أهملته في الأسابيع الماضية.

وبعد انتهاء الأسبوع، كان كلُّ منهما قد استعاد نشاطه واستعد للقدام أياً كان. واتفقا على أن يجتمعا في بيت الغنم في الغد. وبعد أن اجتمعا في الموعد المحدد نظر كلُّ منهما إلى الآخر كأنما أرادا أسبوعاً آخر؛ فقد بدا عليهما الخوف والهيبة من تشغيل الآلة.

نظر أنس إلى فاطمة كأنه يعرف مايدور بخلدها. ثم قال: ليس هناك مفر من تشغيل الآلة؛ فلم نبذل كل هذا الجهد الجبار ثم بعد ذلك نتوقف من أجل وساوس باطلة لا تستند لدليل أو برهان. ثم أضاف: وبالرغم من أننا نخاف منها إلا أن هناك رغبة ملحة ونزوع لاستكشاف المجهول يدفعنا إلى المضي قدماً لمعرفة نتيجة هذه التجربة المثيرة أياً كانت. ثم قال بعد أن رمقها بنظرة ماكرة: هل تستطيعين مقاومة توقك لتشغيلها حتى لو امتلأ قلبك رعباً.. فأطرقت رأسها. فقال: إذاً سنبدأ الآن، واعلمي أن المجازفة هي الكلمة الثالثة والسر الأخير لتحقيق النجاح، انظري إلى عباس بن فرناس وإلى مجازفته ومحاولته الطيران حتى مات في سبيل ذلك شهيداً للعلم، لكنه استطاع بتلك المحاولات أن يخلق توجهاً إنسانياً، وأن يكون نقطة تحول في تاريخ البشرية وإبطال الاعتقاد السائد آنذاك باستحالة الطيران.

فالمغامرة وحب استكشاف المجهول ركائز أساسية من مكونات النفس البشرية لا يمكن تفاديها على الإطلاق.



ونجحت التجربة فكادت أن تفشل بانفجار

وبالفعل عزم الأخوان على البدء في تشغيل الآلة، وقال أنس: سنعمل على التدرج في تشغيلها بحيث يتم الانتقال من مستوى إلى آخر بأمان. حتى إذا حدث خلل ما أمكننا إيقاف العملية برمتها لنبحث عن الخلل ونقوم بإصلاحه حتى نستطيع تلافي أي خطأ ومن ثم نتابع. ومن حسن الحظ أننا تمكنا من ربط كل أجزاء الآلة بالحاسب الآلي ومن ثم نستطيع إيقاف عملية التشغيل برمتها في أي وقت وبضغط زر، ويمكننا الآن التحكم في الآلة بنسبة مائة بالمائة من خلال جهاز الكمبيوتر الذي تظهر شاشته على جانب الآلة بعد أن دمجناه بداخلها؛ ولذلك فأنا مطمئن. ثم نظر إلى أخته كأنما ينتظر ردها، فقالت بنبرة تعكس خوفها وترددها: أنا أيضاً مطمئنة وهي تردد بينما أخذت تهز رأسها مطمئنة مطمئنة. ثم أضافت: أعتقد أنه من الأفضل القيام بإجراء التجربة بعيداً عن بيت الغنم تفادياً لحدوث أي مكروه؛ فأنا غير مطمئنة لتشغيلها بقلب القرية.

فأبدى أنس موافقته، ثم قال: ولكن ما هو المكان المناسب في رأيك؟! فصمتت قليلاً ثم أشارت بيديها بعد أن قلبتها على ظهرها، ثم أمالت برأسها قليلاً ثم أضافت: لا أدري.

وبعد لحظات صاح أنس: لقد وجدته؛ هناك بيت مهجور يبعد عن القرية مسافة ثلاثة كيلو متر تقريباً، كنت دائماً أرعى الغنم بجواره، فسألت أخته: هل هذا البيت المهجور يعد مكاناً مناسباً لتشغيل الآلة به؟! فقال أنس: أعتقد أنه أنسب ما يكون؛ فهو أيضاً بعيد عن العمران، وبالتالي سيكون آمناً. وفي مساء اليوم التالي تم نقل الآلة في ظلماء الليل وفي الحال شرعا في البدء.

بدأ أنس في إعطاء الأوامر من خلال الشاشة، وتم فتح منفذ أمام قطرة ماء مضاد لتببط على مجزئ الذرات لتجزئتها، ثم فتح منفذاً آخر أمام قطرة ماء عادية لتببط من الناحية الأخرى على مجزئ الذرات الآخر.

وبعد دقيقة تم الانتهاء من تجزئ الذرات على كلا الجانبين، وجاءت أخطر مرحلة؛ وهي دمج ذرات الماء والماء المضاد لتوليد الطاقة، وبعد ذلك يتم تخزينها في غرفة الطاقة الكروية.

نظر أنس إلى أخته كأنما يسألها الموافقة على الشروع في هذه المرحلة، فأومأت له أن نعم بعد أن شعرت بخفقان قلبيها يزداد وتيقنت بأنه ليس هناك سبيل للرجوع بمجرد البدء في هذه المرحلة، وأصبحت متطلعة للنتيجة أيًا كانت.

أعطى أنس أمراً للآلة من خلال الشاشة الإلكترونية للبدء في دمج الذرات. في البداية لم يحدث شيء على الشاشة أو الآلة حتى أصابهما التوتر

والارتباك، ونظر كلُّ منهما للآخر، وفجأة بدأت الآلة تصدر اهتزازات عنيفة حتى بدا كأنها ستنفك وستنفجر.

دبَّ الرعب في قلب فاطمة وسرت في أوصالها رعشة، وبدأ العرق ينساب على جبهتها، لكنها استطاعت أن تتماسك بصعوبة. بعد أن نظرت إلى أخيها فوجده ثابتاً في مكانه ينظر إلى الآلة ببرود كأنه على يقين بما سيحدث؛ فقد بدا عليه أنه لا يهابها، ثم نظر إلى أخته، وقال: هذا الاهتزاز الشديد ناتج عن توليد طاقة كبيرة في الغرفة الكروية.

وظهرت على الشاشة رسالة تؤكد استنتاجه تشير إلى أن الطاقة داخل الغرفة الكروية وصلت إلى 99%. فأعطى أمراً للآلة بتحريك الحواجز الحديدية لتكوين كرات صغيرة أقل حجماً لاستيعاب الطاقة بداخلها وتقليل الضغط على جدار كرة الطاقة. وبالفعل تم توزيع الطاقة داخل الغرف الصغيرة. وبدأت الآلة في الاستقرار شيئاً فشيئاً إلى أن هدأت تماماً. وأعطى أمراً آخر لدمج ذرات أخرى لتوليد طاقة أكبر، وظل أنس يكرر هذه العملية حتى ظهرت على الشاشة رسالة تشير إلى أن جميع الغرف الصغيرة وصلت إلى سعتها القصوى، ولم يعد هناك مجال آخر لتكوين غرف صغيرة لاستيعاب الطاقة.

نظر أنس إلى أخته فرأى العرق يفيض من جبهتها وهي ثابتة لا تتحرك. ولم تنبس بكلمة ولم تلتفت إليه؛ فقد ثبتت مقلتها على الآلة كأنها آخذة ببصرها، فاقترب منها محاولاً طمأنتها، لكنه لم يجد بعقله سوى هذه الجملة: "يا أخته لو فנית في سبيل هذه الآلة فسأكون قانعاً" فاضطربت أخته وحدهته بنظرة جامدة.

ثم عاد لينتقل إلى الخطوة التالية؛ وهي نقل الطاقة إلى المخرج الرئيسي للجهاز لتكوين الفجوة. وهذه الخطوة ستكون عواقبها وخيمة لو كانت الحسابات خاطئة.

بدأت الآلة في إخراج الطاقة تدريجيًا حتى بدأت نقطة صغيرة بيضاء في حجم الليمونة تظهر أمام منفذ الطاقة، وبدأ حجم الهالة يزداد تدريجيًا مع زيادة إخراج الطاقة حتى صارت في حجم البرتقالة تقريبًا. فقام أنس بتثبيت الطاقة عند هذا المستوى واقترب منها بينما تراجعته أخته إلى الوراء وجلة، وأخذ يتفحصها؛ فقد كانت الهالة فاقعة البياض كاللؤلؤة لها أزيز كأزيز النحل مضيئة يتخللها ومضات كومضات البرق، ثم التفت إلى أخته وتراجع هو الآخر حتى وقف بجانبها.

وقف الأخوان في صمت من أثر الدهشة بينما ينظران إلى الآلة بعد أن خطفتهما أبصارهما الهالة البيضاء. وبعد قليل، طلب أنس من فاطمة أن تعطيه شيئًا ليقذفه بداخلها فلم تجبه؛ فوكزها وكزة خفيفة أفاقته على أثرها ثم نظرت إليه ببلاهة تسأله عيناها ما هذا الذي أراه؟ فصاح أنس: أعطني شيئًا أقذفه بداخلها، فلم تجبه وارتدت ببصرها إلى الهالة، وبحركة لا إرادية أدخلت يدها في جيبتها وأخرجت قلم التقفه أنس على الفور وذهب باتجاه الهالة بعد أن تمتم وهو ينظر إلى القلم كأنما يتفحصه: أعتقد بأنه كافٍ. ثم وضع طرف القلم بداخلها ممسكًا بالطرف الآخر فشعر بأنه ينساب من بين يديه فجذبه مرة أخرى، ونظر إلى نهايته فوجدها سليمة لم يصيبها شيء، ثم ألقاه فيها فاخترق على الفور.

نظر الأخوان إلى بعضهما في دهشة يتساءلان أين ذهب القلم؟!

وهنا قفز سؤال في عقل أنس لم يخطر بذهنه قبل ذلك، ربما أن القلم قد سافر إلى أي مكان؛ فهل من المحتمل انتقاله إلى أي زمان؟!

أخبرها أنس بما يدور بعقله، فلم تكثرث كأنها لم تسمع كلمة مما ذكّر؛ فنظر إليها فأراها مازالت مشدوهة من أثر الهالة فوقف هو الآخر ينظر إليها في صمت منصتاً لأزيزها كأنه يحاول تفسيره، وبدأ يتساءل: سأحتاج إلى دراسة أخرى؛ فربما هذه الآلة لها من القدرة ما يمكنها من أن تحني الزمن أيضاً بعد أن يتوقف؟!

خرجت فاطمة عن صمتها بعد أن بدا أنها أفاقَت من غيبوبتها قائلة: دعنا نركز الآن على عملية النقل، فهذا هو هدفنا الأساسي.

وبعد نجاح التجربة في خلق فجوة مكانية وربما زمانية قال أنس: لم يبق سوى إنشاء آلة ثانية لتكون في الطرف الآخر؛ حتى يمكننا السيطرة على أحد المسارات اللانهائية. وانتبه أنس على صيحة أخته: يا إلهي لقد تمكنا من إنشاء آلة نقل تسبق زمانها بقرون. وانتبذت مكاناً بزاوية الغرفة وجلست صامتة وبدأت مستغرقة في خيالاتها تحلم بالشهرة؛ تتخيل أنها على رأس فريق من العلماء ربما سيكون أشهر فريق في العالم بل ربما على مر التاريخ. وبدأت تخال نفسها بقاعة تضج بالعلماء أمام عشرات الكاميرات في مؤتمر علمي عالمي وهي تقول: "اهدأوا اهدأوا، سأحاول الإجابة على أسئلتكم جميعاً" وهي تسمع همهمة من هنا وهناك تشعرها بالغبطة والسرور "كيف استطاعت أن تصل لهذه النظريات بمفردها، ربما تصبح أعظم من أينشتاين؛" فهذه الآلة ستقلب الموازين رأساً على عقب وربما تتغير خارطة القوي في العالم" يقول أحدهم، بينما تسمع تمتمات على الجانب الآخر تقول "جميع هذه النظريات خاطئة بالتأكيد فلم تُبنَ على أساس علمي صحيح، وهذه الآلة هي بالتأكيد خدعة" حتى تشعر بالامتعاض.

أخذت تفكر كيف ستؤثر هذه الآلة على مسار البشرية، وكيف ستستخدم؟ ثم أطلقت صيحة، التفت على أثرها أنس بعد أن قطب جبينه ورفع أحد حاجبيه متعجبًا: يا إلهي! لقد أصبحنا من أغنى الأغنياء. عالمة غنية زائفة الصيت على مر القرون دائمًا تتذكرها البشرية بالخير" هكذا منّت نفسها لكنها لا تعلم ماذا يخبئ لها القدر.

انتهت على صوت أنس وهو يقول: سنحتاج بناء آلة أخرى لإتمام التجربة. فقالت: لقد أصبح الأمر يسيرًا، لكننا نحتاج إلى المال، لقد أنفقت كل أموالي لبناء هذه الآلة. فقال أنس: لا تقلقي من الناحية المادية؛ فأنا سأتكفل بذلك. ثم قام إلى أغنامه وباع نصفها غير مبقٍ على شيء أو ضانٍ بثمانين. وبعد مضي 20 يومًا انتهى الأخوان من بناء الآلة الأخرى تمامًا، لكن لم يقوموا بتجربتها؛ فما الداعي إلى تضییع الوقت بعد أن صنعناها مثل الأخرى تمامًا. ثم قالت د/فاطمة: الآن لم يعد أمامنا سوى نقل الآلتين كما خططنا.

واجتمعا لوضع الخطة لنقلهما، فقالت فاطمة: سنحتاج لنقل الآلة الأخرى إلى نقطة تبعد عن هذا المكان ألف كيلو متر، وهذه معضلة أخرى، كيف يمكننا نقل الآلة إلى دولة أخرى وبأي وسيلة دون أن يكتشف أمرها؟!

فقال أنس على الفور: نستطيع نقلها لمسافة أبعد دون أن تمر على نقطة تفتيش واحدة. حتى إننا لن نرغم لنقلها خارج حدود جمهورية مصر العربية. فهتت أخته على الفور ماذا يقصد وافتر ثغرها عن ابتسامة ثم أمالت برأسها قائلة: أحيانًا تكون الأمور واضحة أمام الإنسان، ثم لا يلبس إلا أن يعمل على تعقيدها؛ فقال أنس مبتسمًا: ليس أحيانًا، ولكن دائمًا. إنك كثيرًا ما تنسين بعجل.. فرمقته بنظرة فاحصة بعد أن فغرت فاهها، وجحظت عينها وقطبت جبينها قائلة: ماذا تقصد؟ فرد أنس سريعًا وهو يبتسم: لا أقصد شيئًا مما ترمين إليه، فصاحت بعد أن أشارت إليه بأصبعها: إني

أحذرك... فتدخل أنس على الفور قبل أن تكمل محاولاً تغيير دفة الحديث قائلاً: سنقوم بنقل آلة إلى مدينة الإسكندرية على البحر المتوسط، والآلة الأخرى في مدينة مرسى عِلَم المُطَلَّة على البحر الأحمر.

وبدأت تغوص في خيالاتها مرة أخرى؛ لقد نجحت التجربة بالفعل، ولم يعد هناك سوى الخطوة الأخيرة لتكمل جهودنا بالنجاح، ولن يبقى سوى الإعلان عنها وحصاد ثمرة سنوات من العمل الماضي. ثم صاحبت: يا إلهي، أنا الآن أستطيع التحكم في المكان والزمان، يمكنني فعل أي شيء يجول بذهني. فرمقها أنس بنظرة فاحصة، ثم تمتم: "لقد أصابها، الغرور هذا ما كنت أخاف منه".

بدأ أنس يحس بالخطر؛ فهو يعلم يقيناً أن الأمور لا تتم إلا بإرادة الله؛ فلو أخطأ خطأ بسيطاً ربما دمر أجزاء كبيرة من بلده لولا حفظ الله ورعايته التي أحاطتهما. كان على يقين أن عناية الله كانت معه دائماً تحوطه وترشده إلى الصواب؛ فهو بشر، والبشر دائماً ما يخطئون. وحمد الله على أن خطأه كبشر لم يحدث أثناء بناء الآلة أو تشغيلها. وشكر الله أن جعله سبباً لصنع آلة لخدمة البشرية ستقدم بفضلها سنوات إلى الأمام.

واتفق الأخوان على أن يكون موعد التنفيذ بعد الغد، ووضعوا ساعة الصفر الواحدة بعد منتصف الليل يوم الجمعة الموافق 2014/7/25 م. وقالت فاطمة: يجب أن نتفق مع سيارتين وزورقين لإتمام عملية النقل وتم وضع الخطة وكانت كالآتي:

يتم نقل آلة إلى مدينة الإسكندرية على شاطئ البحر المتوسط، والآلة الأخرى إلى مدينة مرسى علم على شاطئ البحر الأحمر على أن يتم تحديد الأماكن على الخريطة أولاً، وسيتم الانطلاق من شاطئ غير مأهول حتى لا نثير

الشكوك. قالت فاطمة. واتفقا أن تكون الألتان على عمق 10 كيلو متر داخل المياه بعيداً عن الشاطئ لربما حدث شيء غير موجود في الحسابان وحدث انفجار لا قدر الله، وبالتالي تكون الخسائر أقل ما يمكن بعيداً عن العمران.

ثم قال أنس: ولكننا أيضاً سنحتاج إلى زورقين صغيرين لنقل الألتين داخل المياه. فقالت فاطمة: دع أمر هذه الترتيبات لي؛ فلدي من المعارف ما يجعلني أدير أمر هذين المركبين، فقط بسماعة الهاتف.

وفي نهاية اليوم كانت قد أنهت جميع هذه الترتيبات، وأخبرها أنس أنها ستكون مع آلة في الإسكندرية وهو سيسافر إلى مرسى علم بحوزته الآلة الأخرى؛ نظراً لطول الطريق؛ فهو لا يريد أن يحملها مشقة السفر.

وبالفعل تم كل شيء في موعده، وانطلق أنس قبلها ب 8 ساعات؛ نظراً لطول الطريق؛ حيث تبعد مدينة مرسى علم عن مدينة المنصورة 800 كم، بينما تبعد مدينة الإسكندرية 175 كم. وصلت فاطمة إلى المكان المحدد، وتم نقل الآلة من السيارة إلى المركب عن طريق عمّال تم استئجارهم لهذا الغرض وانطلقت في عرض البحر، ثم اتصلت بأنس لتطمئن عليه فوجدته قد اقترب من مرسى علم ثم قال: أمامي فقط نصف ساعة، وسأكون على ساحل البحر. وصل قبل منتصف الليل بقليل في مستهل يوم الجمعة، واستغرق 10 دقائق لنقل الآلة إلى المركب. ثم انطلق هو الآخر إلى عرض البحر. كانت الساعة الثانية عشر ونصف تقريباً، وكانت أخته على اتصال به كل 5 دقائق.

كانا بانتظار وقت الصفر "الساعة الواحدة صباحاً" وكانا على اتصال بواسطة أجهزة جوال حديثة تم ربطها عن طريق القمر الصناعي. وعندما

دقت الساعة معلنة أنها الواحدة كان الاتصال مفتوحًا بين الأخوين. وبدأ في تنفيذ المهمة.

عمد أنس إلى الآلة، وقام بتشغيلها على مراحل، وأخبرها أن تبدأ هي الأخرى في تشغيل ألتها وتحذو حذوه تمامًا، فامتثلت لأمره. وما إن طفقت تعمل حتى بدأت تهتز بعنف فاضطربت ثم صاحت: يا إلهي إنها ترتج بقوة الآلة ستنفجر. فسمعها أنس على الطرف الآخر، فقام بهدئتها وطمأنتها قائلاً: يجب عليك تحريك الحواجز الحديدية داخل كرة الطاقة الكبيرة لإنشاء حجرات صغيرة تستطيع أن تحتوى الطاقة لتخفيف الضغط على جدار الكرة الكبيرة كما فعلنا في السابق. وحتماً ستهدأ الآلة.

نقذت فاطمة تعليماته على الفور، وأخبرته بأن الاهتزاز بدأ يقل تدريجيًا، لكنها ما زالت تهتز على عكس الآلة الأخرى. فطمأنها أنس وقال: لا عليك ربما هي غير ثابتة بفعل وجودها على ظهر مركب في عرض البحر. وأخذ يتساءل أين يكمن الخلل لم يتسن لي تجربة الآلة الثانية والأدهى من ذلك أنها بصحبة فاطمة: فهذا خطأ فادح بل خطآن ربما سيكلفانا الكثير، وأخذ يصبح معنفًا نفسه: "أنا غبي، غبي إلى أقصى درجة، كيف فاتني هذا أتمني أن تصمد هذه الآلة حتى النهاية". لم تطمئن أخته لذلك وتوجست خيفة، ولكنها صاحت: أخبرني بالخطوة التالية كأنها أرادت أن تنتهي على عجل. فقال أنس: انتقلي إلى المستوى التالي.

وظل يساورها حدس بأن هناك أمرًا سيئًا على وشك الوقوع، ولكنها لم تجد بداً من إتمام التجربة حتى النهاية.

وبدأت الآلة في تجزيء الجزئيات إلى ذرات. وتم دمج ذرات المادة والمادة المضادة لإنتاج الطاقة في الحاوية الكروية الكبيرة. وعادت آلة فاطمة إلى

الاهتزاز بعنف مرة أخرى فأخبرها أنس أن تعمل على إخراج الطاقة حتى تهدأ ثائرتها، وهنا بدأت تظهر نقطة بيضاء على الجانبين فأخبرها أن تعمل على إخراج الطاقة بنسبة 20% حتى أصبحت الفجوة بحجم البرتقالة، وفي نفس التوقيت كانت آلة أنس تُخرج الطاقة بنفس المقدار، ثم سألها أن تُلقي بأي شيء في الفجوة فألقت بقلم فابتلعتة واختفى على الفور. انتظر أنس أن يظهر شيء من خلال الفجوة، ولكن لم يظهر شيء؛ فسألته فاطمة: هل ظهر القلم بجانبك؟ فأجابها بصوت ملؤه الحنق والغضب: لم يظهر بجانبني أي شيء. ثم سألها بلهجة حادة بعد أن ارتسمت على وجهه علامات الحيرة: بماذا قذفت هذه الفجوة؟ فقالت: لقد وضعت قلم .

تساءل أنس: إذاً فأين مكنم الخل، وإلى أين انتهى القلم؟! فكل الحسابات دقيقة، ثم سأل أخته ما رأيك أين يكمن الخطأ؟ هل كل ما بنيناه ربما يكون وهمًا، فقالت غاضبة: لا ليس وهمًا، وإذا كان الأمر كذلك، فأين اختفى القلم، بالتأكيد هناك خلل لم تنتبه إليه، فنظر أنس إلى السماء بعد أن تهدأ جالسًا كأنما يطلب مددًا، وأخذ يراجع سريعًا كافة الحسابات عله يجد ثلمة يقوم بلأمها. وبعد ثوانٍ معدودة صاح أنس قافدًا من مكانه: لقد وجدت! هناك خلل بالفعل لم نفطن إليه. الفجوة التي أحدثتها آلتى تفتح على مسار آخر غير المسار الذي تفتح عليه الآلة التي بحوزتك؛ نظرًا لعدم تساوي مقدار الطاقة الناتجة عن الآلتين. فبدأ سريعًا في تحليل الموقف، ثم أعطى أمرًا للآلة بتحويل قراءة مقدار الطاقة إلى أرقام بدلًا من نسبتها المئوية.

وأعطى أمرًا آخر لتحويل وحدة الطاقة الواحدة إلى مليون جزء حتى تكون الحسابات دقيقة إلى أقصى درجة؛ فظهر على الشاشة مقدار الطاقة المنبثقة من الآلة "95060892016.453211" ثم سأل أخته أن تتبع نفس

الخطوات على آلتها بدقة، وسألها أن تقرأ له الرقم الظاهر على الشاشة الذي يشير إلى مقدار الطاقة فقالت: 95060892016.453223"

فصاح نعم كما ظننت فاستنتاجي دقيق مائة بالمئة؛ فبالرغم أن فرق الطاقة الناتجة عن الآتين صغير جداً، ولكنه تسبب في فتح كل آلة على مسار مختلف من مسارات الزمكان.

فقال أنس: حاولي تقليص الطاقة الناتجة ببطء حتى تصلي بالرقمين الآخرين 23 إلى 11؛ فنقذت ذلك بالفعل إلى أن وصلت إلى نفس الرقم "95060892016.453211" حتى تطابق مقدار الطاقة الناتجة عن الآتين تمامًا، ثم صاح أنس: اقذفي بقلم آخر بالفجوة ففعلت ذلك وحدثت المفاجأة.

وقف أنس مشدوهاً أمام الآلة لا يصدق ما يراه بأَم عينه؛ فقد ظهر القلم بجانبه وسقط على الأرض فالتقفه سريعاً وأمسكه بيده. بينما أخته تصبح: ماذا حدث؟ هل وصلك القلم؛ فلم يجبها من أثر الدهشة. وأخذت تصبح: أخبرني ماذا حدث بجانبك؟ "أنس أنس"

لقد وصل إلى حلمه بالفعل بعد سنوات من الجهد المضني. وأخذ يتساءل هل هذا حلم أم حقيقة؟! وأخذ يتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة. وبدأ بالصياح وأخذت يديه تتحرك بحركات طائشة دون هدف، وأخذ يردد: لقد تحقق حلمي القلم بيدي وبدأ كأنه يهذي حتى من يراه ظنه ممسوساً. ففهمت أخته أن التجربة قد نجحت، فصاحت: اهدأ ماذا حدث لك، ثم صرخ قائلاً: سأضع يدي الآن داخل الفجوة لترى ماذا سيحدث. فصرخت أخته: لا لن تفعل، لا نعرف ما سيحدث فربما تخرج بدونها ولم تكذنتني من تحذيرها حتى رأت أمامها قبضة يد بارزة من الفجوة. فصرخت: يا إلهي

هل جُننت؟ وارتعدت حتى كادت أن تتمزق فرقاً وتتلاشى رعباً ثم تساءلت:
هل تخطينا حدودنا؟!

سألها أنس وأخذ يتضحك ببلاهة كالمندروس مطلقاً صيحات مدوية غير مفهومة: هل ترين قبضتي؟ فلم تجب من فرط الدهشة والحيرة؛ فقد كانت مشدوهة مما تراه واقتربت بحركة لا إرادية غير واعية، وأخذت تتلمس قبضته كأنما أرادت أن تستوثق مما تراه؛ بأنه ليس حلمًا غريبًا أو وهمًا عجيبًا، ثم صرخت صرخة قوية سحب أنس على أثرها يده، وبدأت تصيح: "لقد تصدعت الآلة، هناك شقان كبيران على أحد جانبيها، لقد بدأت تهتز اهتزازًا عنيفًا، يا إلهي.. أعتقد أنها ستنفجر بأي لحظة؛ فأمرها أن تغلق الآلة فوراً؛ فضغطت زر الإغلاق فلم تنطفئ. وأشارت الشاشة الإلكترونية إلى وجود خلل في المنفذ الرئيسي لإخراج الطاقة، وأسقط في يدها؛ فليس هناك طريقة لسحب الطاقة المتسربة وإعادةها إلى غرفة الطاقة الكروية. فأحس أنس بالخطر، ووضع يديه على رأسه ثم قال: أخشى أن تنفلت الأمور من يدها.

فصاح أديري المركب وعودي فوراً إلى الشاطئ وأغلقي وحدة التحكم في الطاقة، وحركي جميع الحواجز الحديدية القابلة للحركة لإنشاء كريات صغيرة بقدر الإمكان لتخفيف الضغط الواقع على جدار الكرة الأم؛ فصاحت: المشكلة تكمن بعد وحدة التحكم في الطاقة في المنفذ الرئيسي، فصرخ أنس: أعلم أعلم، ولكن أمهد لعزل وحدة الطاقة؛ فهي تحتوي على الماء المضاد، وهذا هو أهم شيء فمهمتك الأساسية الآن هو الحفاظ على الماء المضاد بعيداً عن أي انفجار قد يحدث، فصرخت: انفجار!! أي انفجار وشرعت في البكاء فصاح: تمالك، فهذا ليس وقت العويل، وكوني على قدر الموقف. اسمعيني الآن جيداً حتى يمكنك النجاة. فصرخت فاطمة: لقد بدأ

التصدع يزداد ثم أطلقت صرخة مدوية كاد أن يطير منها قلبه: لقد انشقت الآلة إلى نصفين؛ فعلم أنها لن تتمكن العودة إلى الشاطئ إلا بعد فوات الأوان، فصاح أنس بينما يظن أنها ستهبط؛ لو حدث انفجار بعيداً عن الماء المضاد فسيكون تأثيره محدود وستكونين بخير.

ثم أضاف: اسحي وحدة التحكم في الطاقة؛ فالأولوية هي تجنب حدوث انفجار بجانب المادة المضادة. فقالت باكية بعد أن جلست مكانها لا تقوى على الحراك: لا أستطيع... فوقع في يده وأيقن بأنها لن تنجو.

فقال أنس: اسمعيني جيداً... وبدأ يتكلم بهدوء ليثبت في قلبها الطمأنينة: طالما أن الآلة لم تنفجر بعد، فاعلمي أنك على قيد الحياة، وإذا لم تتماسكي فأيقني بأنك قد قتلت نفسك، وصمت قليلاً ثم أضاف: وأخبري سائق المركب ومعاونيه لمساعدتك بإلقاء الآلة في البحر بعد أن تسحي الوحدة، وتذكرى بأنه يجب حمايتها بأي ثمن، وعودي بأسرع ما يمكن إلى الشاطئ؛ فنظرت إليهم وقد بدى عليهم الارتباك والحيرة فوجدت سائق المركب قد أداره وانطلق به صوب الشاطئ بعدما رأى ما حدث؛ فصرخت قائلة: لا يجب أن تصل الآلة إلى الشاطئ.. فلم ينتبه إليها أحد، فقالت: إذا لم نلقها في البحر فستنفجر قبل أن تصلوا إلى الشاطئ، وسأدعكم تتخيلون ماذا سيحدث بعدها. فالتف الجميع حول الآلة ونجحوا في تحريكها حتى استطاعوا أن يلقوها في البحر، ثم قالت للسائق: تحرك بأقصى سرعة. وأخذت تدعو الله عسى أن يمنع الفاجعة. وبعد 10 دقائق وصلت إلى الشاطئ بحوزتها وحدة التحكم لم يمسهها سوء. وانتابها شعور قوي بأن الأمر لم ينتهِ بعد، لكن منت نفسها قائلة: طالما أنه لم يحدث انفجار في الدقائق الأولى فقد انتهت مرحلة الخطر فاطمئني، ولا تدعي الأوهام تتلاعب برأسك. وما ن استدارت حتى بدأت السماء ناحية البحر تضيء تدريجياً كأنها انبجست عن نجمة درية

عملاقة قد أطبقت على الأرض واستحال سواد الليل إلى بياض. وانعكس اللون على ماء البحر فأصبح كل شيء كأنه مخضب بالبياض. وفجأة تبع هذا الضوء موجة عملاقة انشقت عنها البحر واتجهت صوب الشاطئ حتى حجبت ضوء القمر كمارد انبثق من قمقمه.

فقفزت إلى السيارة وانطلقت بأقصى سرعة وشقت طريقها بقلب مدينة الإسكندرية تحاول الإبتعاد بقدر الإمكان، ولحسن الحظ كانت الشوارع خالية؛ فالوقت ما زال فجرًا، ولم تنشط الحركة بعد، ثم أوقفت السيارة بعد أن ظنت أنها ابتعدت بالقدر الكافي، وما أن هدأت أنفاسها حتى سمعت جلجلة تضرب بقوة فصوبت بصرها إلى المرأة فرأت موجة عاتية تضرب المدينة من خلفها فانطلقت بأقصى سرعة حتى استطاعت أن تفلت منها بعد أن انحسرت الموجة، بعدما ضربت 5 كم في عمق المدينة. أيقنت أن هذه الموجة قد أتت على جزء كبير من هذه المدينة الجميلة الهادئة.

وفي هذه الأثناء، كان أنس قد وصل إلى الشاطئ ونقل الآلة إلى السيارة وانطلق هو الآخر عائداً إلى بيت الغنم بالمنصورة. وبدأ عليه الاضطراب والقلق، فضغط زر المذياع وبدأ يتنقل بين المحطات حتى توقف على صوت يقول: لقد حدث انفجار هائل على شاطئ الإسكندرية، وقد ضربت المدينة موجة عاتية في صورة غير مسبوقة؛ حيث تقوم السلطات الآن بتقييم الخسائر، وسنوافيكم بمزيد من الأخبار فور وصولها. فضرب أنس باب السيارة بيديه غاضباً حتى نظر إليه السائق ثم أضاف: أتمنى أن تكون الخسائر محدودة.

أما فاطمة فقد وصلت إلى بيت الغنم حوالي الثامنة صباحاً وهي في حالة هستيرية. وظلت تحاول الاتصال بأخيها دون فائدة.

وكان الرد دائماً "الشبكة تحت ضغط" والحقيقة أن السلطات قد أوقفت جميع وسائل الاتصال وجميع مواقع التواصل الاجتماعي بما في ذلك شبكة الإنترنت؛ فقد ظنت أن الانفجار نتيجة عمل إرهابي واحتاطت لذلك.

أيقن أنس أنهم سيشتدّون على تفتيش السيارات؛ فرمق السائق بنظرة مأكرة بطرف عينيه، ثم قال بلهجة تشي بالتهديد: أنت متورط معنا لا محالة، فحذجه السائق بنظرة ملؤها الرعب، فقال أنس: بلهجة حادة: انظر إلى الطريق واسمعي بأذنك. إذا تم إيقافنا فأنت بالفعل متورط، أما إذا تم إيقافني بعد ذلك وحدي من قبل الأجهزة الأمنية فلن يحدث لك مكروه. فأنا حتى لا أعرف اسمك معنى ذلك أننا لم نتقابل قط.

فردّ السائق فزعاً: "سأسلك طرقاً ملتوية كي أتجنب نقاط التفتيش" فتهد أنس، وأخذ نفساً عميقاً بعد أن علت وجهه ابتسامة، وبالفعل سلك السائق طرقاً مجهولة وملتوية بعيداً عن الكمائن التي كانت تزرع الطريق وبدا عليه أنه يحفظها عن ظهر قلب.

وصل أنس بيت الغنم في منتصف الليل، وانهارت أخته باكية عندما رآته، ثم قالت: لقد أخفقنا تماماً، هل رأيت ماذا فعلنا؟! "لقد خربت الدنيا". "لقد خربت الدنيا".

فرمقها بنظرة حادة وصاح مغضباً بلهجة باردة وبوجه يكسوه الجمود: لا يعد هذا إخفاقاً، لم يحدث شيء ونجحت التجربة على أكمل وجه والخسائر محدودة. فقالت له باكية: لقد كان الانفجار مهولاً، فأنت لم ترّ الموجة وهي تشق الأرض شقاً، ثم شهقت قائلة: يا إلهي، لقد كان الأمر كارثياً. وأخذت تقص عليه ما حدث بينما تنتحب.

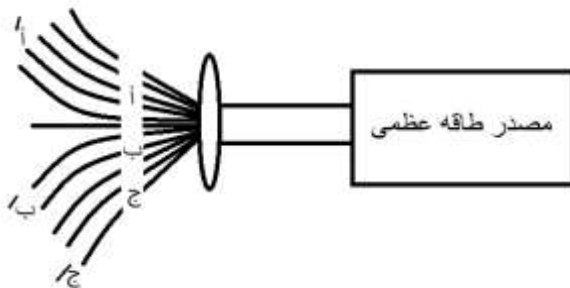
فقال: الحمد لله؛ فالخسائر البشرية محدودة، فقط مئات الجرحى، ولم يقضي أحد إلى الآن، وغرقت معظم أجزاء المدينة. وتعمل السلطات على حل هذه المشكلة الآن، فصرخت أخته في ذهول: عشرات الجرحى فقط، ومعظم أجزاء المدينة قد أصابها الدمار، وأنت تقول لي إن التجربة قد نجحت على أكمل وجه ولم يحدث شيء.. ثم أجهشت في البكاء، وأضافت: ماذا دهاك يا أخي؟ ماذا دهاك؟ فأنت لم تكن كذلك، فصاح أنس بلهجة لا تخلو من صلف: هذه الخسائر لا شيء بالنسبة لما وصلنا إليه، ثم أن لكل شيء ثمنًا، وهذه خسائر محدودة بالنسبة لما كنت أتوقعه، فصاحت فاطمة بعد أن علا نحيبها: تظن أن الخسائر محدودة، ولكن ربما تكون الآثار المترتبة بعد ذلك كارثية. فصمت أنس قليلاً، ثم قال بصوت هادئ: المشكلة الأكبر تكمن في أن السلطات الأمنية تظن بأن وراء الانفجار عملاً إرهابياً، تقف وراءه دول ضالعة فيه؛ فالأمر أكبر من مجرد عمل إرهابي تستطيع أن تقوم به مجموعة منفصلة من المرتزقة؛ لقد ذكروا ذلك في المذيع. أعتقد أن الأمر معقد، ثم صاح بعد أن ضرب المقعد بيده: لا بد أن يعرفوا الحقيقة. وقفت فاطمة دون أن تنبس ببنت شفة وهي تجهش بالبكاء، وانطلقت إلى بيتها وارتمت على فراشها وهي مضطربة مشوشة، ثم أخذت بعض حبات المنوم؛ فلم تكن فقط تريد النوم، لكنها أرادت عزل نفسها عن العالم. وودت لو لم تستيقظ مرة أخرى جراء ماحدث. فما كانت تخاف منه قد وقع.

أما أنس، فقد كان فرحاً منتشياً؛ فقد حقق حلمه ولم يبال بما حدث بل اعتبره نتيجة طبيعية ثم أن الخسائر في نظره لا تقارن بما سينتج عن هذه الآلة من فائدة سيعم نفعها على البشرية جمعاء. واعتبره ثمن بخت للغاية بالنسبة لآلة سوف تنقل البشرية عشرات السنين إلى الأمام.

لم يتوقف أنس عند هذا الحد فبدأ يفكر في تطوير الآلة كأنه لم يكتفِ بعد؛ فهذه طبيعة الإنسان؛ لا يتوقف طموحه طالما ظل به رفق، لماذا لا أعمل على تصغير الآلة حتى تشغل حيزاً أقل فهو يمتنى أن تكون بحجم اليد، أراد بذلك أن يختصر عشرات السنوات لفرق من العلماء ستأتي بعده لتطويرها، وقال بينما يخاطب نفسه: جميع الأجهزة الإلكترونية وُلدت عملاقة ثم صارت بعد ذلك كما نراها الآن؛ فجهاز الحاسب الآلي كان بحجم الآلة تقريباً حتى صرنا نحمله بجيوبنا؛ فلماذا لا أعمل على ذلك ثم أعرض عن هذا مؤقتاً إلى فكرة أعظم وهي نقل المادة بآلة واحدة فقط دون الحاجة إلى الآلة الأخرى. وبعد طول بحث واستقصاء وتفكير عميق مضى عن خواص المسارات، اهتدى إلى فكرة لم تخطر على ذهنه من قبل.

لقد كانت أمامه طيلة الوقت، لكنه لم يرها، وتذكر مقولة أخته "تكون الأمور سهلة يسيرة أمام الإنسان ثم يأبى إلا أن يعمل على تعقيدها" ثم صاح: يا إلهي لم نكن نحتاج إلى آلة ثانية، لقد بددت نصف ثروتي في بناءها، وأخذ يعنّف نفسه "أنت غبي إلى أقصى درجة، أنت غبي" هذه الآلة الثانية هي التي انفجرت على الشاطئ، كان بمقدوري تفادي كل ما حدث.. ثم صمت قليلاً، وقال، كأنما أراد خداع نفسه: لقد كانت الخسائر محدودة فلا تغضب لهذه الدرجة.

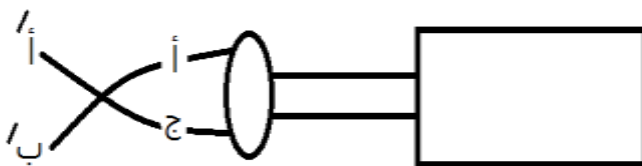
وأخذ يتساءل ويضع الإجابات: عندما نفتح فجوة عن طريق الآلة ماذا يحدث؟ تفتح على مسارات لا نهائية من المكان وربما الزمان، كل مسار من هذه المسارات ينتهي في مكان أو زمان غير معلوم.



لنفترض أن المسار (أ) انتهى في مكان من الأمكنة اللانهائية وليكن المكان (أ-)
والزمان (أ-).

والمسار (ب) ينتهي في مكان (ب-) والمسار (ج) ينتهي في المكان (ج-).

السؤال المهم: لماذا لا ينتهي المسار (أ) في المكان (ب-)
أو ينتهي المسار (ج) في المكان (أ-).



أيقن أنس أن هذه المسارات مختلفة عن بعضها البعض، إذاً فما الذي
يُميّزها؟!

فأخذ يبحث في خصائص المسارات ومما تتكون حتى وصل بعد جهد جهيد
إلى أن كل مسار يتكون من جسيمات أولية تتذبذب بترددات مختلفة يمكن
الوصول إلى قياسها؛ وبعد عناء بحث وصل إلى نظرية مفادها: "طول المسار
يتناسب تناسباً طردياً مع تردد الجسيمات " بمعنى: كلما ابتعد المكان عن

مصدر الفجوة، زاد تردد الجسيمات والعكس صحيح. كانت العضلة أن نوعية الجسيمات الأولية التي يتكون منها المسار لم تكتشف من قبل؛ ولذلك لا توجد مصادر للاستزادة فألقيت على عاتقه مسئولية اكتشاف خصائصها، وتجارب مستفيضة توصّل إلى أن المسار الذي يصل طوله إلى واحد كيلومتر، تتردد فيه الجسيمات الأولية بمقدار 5 ذبذبة في الثانية.

معنى ذلك أنه إذا كان تردد الجسيمات داخل المسار 500 ذبذبة في الثانية، فإن المسار سينتهي على بعد 100 كيلو متر عن الفجوة، ولكن السؤال المهم: في أي اتجاه سينتهي؟!

في الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب أو أعلى أو أسفل؟! وكانت هذه هي العضلة الكبرى بالرغم من أنها تبدو تافهة إلا أنها استعصت في البداية على الحل، حتى توصّل إلى أن هذه الاتجاهات هي اتجاهات وهمية لها علاقة فقط بكوكب الأرض إذ أن الفضاء لا يتحدد بأي اتجاهات، كما أن الآلة تعمل على حني المكان في نقطة معينة من الفراغ لتقريب الفجوتين من بعضهما؛ لذلك لا تعتمد على ما يسمى بالاتجاهات، وقام بإدخال كل هذه المعطيات إلى الحاسوب فأعطاه إمكانية حساب المسافات عن طريق خطوط الطول وخطوط العرض. وبالرغم من أنها أيضاً خطوط وهمية، لكن يمكن الاعتماد عليها في تحديد المواقع بدقة على الأرض. ثم صاح أنس: يا إلهي.. فبالأكيد يمكن الانتقال بهذه الآلة إلى أي نقطة في الكون إذا توافرت الطاقة اللازمة لذلك.

وأصبح الآن قادراً على إتمام عملية النقل بآلة واحدة وبفجوة واحدة فقط، ولم يبقَ سوى التجربة النهائية. وقام بتشغيل الآلة وفتح مساراً تتردد فيه الجسيمات بمقدار ذبذبة في الثانية، بمعنى أن: المسار سينتهي على بُعد 200 متر فقط.. ووضع قلم في الفجوة وانتقل على وجه السرعة إلى المكان المحدد،

فوجد القلم ملقى على الأرض؛ فصاح: لقد ثبتت صحة النظرية. الآن
أستطيع نقل ما أريد بآلة واحدة فقط، لقد اكتملت التجربة بنسبة 100%،
لم أعد أريد أي شيء آخر فأنا الآن قانع إلى أقصى درجة، لقد حققت كل ما
تمنيته".

* * *

ما زالت آثاره بادية

بعد مرور أسبوعين على الانفجار الذي حدث على ساحل الإسكندرية، تأوه أنس قائلاً: لم أنم منذ عدة أيام- كأنه تذكر بعد نسيان-. الآن سأنام مطمئناً قريح العين. وما إن ذهب إلى فراشه وغط في النوم عشر دقائق فقط حتى استيقظ فزعاً على طرق عنيف بالباب، وما إن اعتدل ليرى من الطارق، انكسر الباب كأنما دفعه انفجار فتسمر في مكانه وأحيط في لحظات برجالٍ ملثمون.

لم يستطع حتى أن يتبين عددهم، لم يتكلموا معه بل حتى لم يسألوه عن اسمه، ومن هول الموقف لم يخطر بعقله أن يسأل من أنتم وماذا تريدون؟ فانبطح على الأرض رافعاً يديه فوق رأسه من أثر الصياح، ورضخ مستسلماً تحت ضغط الأسلحة وهول الموقف.

اقتادوه إلى مكان مجهول معصوب العينين مقيد اليدين؛ فتيقن أنهم قد علموا صلته بما حدث على شاطئ الإسكندرية، وتساءل: كيف توصلوا إلينا بهذه السرعة؟ وضعوه في غرفة هادئة لم يتبين إن كانت مظلمة أم مضيئة من عصبية عينيه. ظل ما يقارب ساعة دون أن يدخل عليه أو يكلمه أحد حتى سمع جَلْبَةً في الردهة التي ظنها تنفذ إلى الحجرة الكائن بها، ثم اهتز

فجأة وارتعد قلبه من أثر ارتطام الباب على وجه الحائط؛ فعلم أنهم يعتمدون بث الخوف والرعب بقلبه ليسهل عليهم استجوابه، وتيقن أنهم محققون.. قد أمسكوا بذلك الإرهابي العتيق- هكذا ظنوا.

استطاع أنس تمييز ثلاثة أصوات مختلفة على الأقل حتى استطاع أن يحدد أماكنهم حوله، وكان أول سؤال سألهم أحدهم ما اسمك؟ فأجاب بكلمة مقتضبة: "أنس". فصاح: اسمك كاملاً. فردّ عليه باسمه رباعياً، وكان السؤال الثاني: هل تعرف لماذا أنت هنا؟ فقال أنس بثقة: لا.

صاح أحد المحققين بلهجة متغطرة حتى أدار أنس رأسه باتجاه الصوت: تحرياتنا تقول إنك وأختك مسئولان مسؤولية مباشرة عن الأحداث الإرهابية وعن التفجيرات التي حدثت على شاطئ الإسكندرية، وقد اعترفت أختك بكل شيء فلا داعي للإنكار، لكن نريد أن نعرف منك على وجه الدقة من معك في التنظيم؟ أسماؤهم وعناوينهم؟ وما الجهة التي تموّلكم؟ وكيف صنعتم قنبلة بمثل هذا الحجم التدميري الهائل؟ وهل هذه قنبلة نووية؟ ولماذا تريدون النيل من مصر بالتحديد بالرغم من أنكم مصريون؟ ولماذا ذهبت أنت وأختك إلى الولايات المتحدة؟

أخذ أنس يضحك بصوت عالٍ، كان يقهقه كأنه يسخر منهم، ثم قال بكلمات متقطعة تتخللها ضججات ساخرة: طالما أن أختي اعترفت بكل شيء؛ فما هو الهدف من التحقيق معي؟ ثم قال متهمكاً: هل تعرفون أنكم تضيعون الكثير من وقتكم الثمين؟ نظر المحققون إلى بعضهم متعجبين، ثم قال أنس بلهجة تشي بالاستفزاز: هلاً رفعتهم هذه العصابة عن عيني حتى نستطيع أن نتفاهم؟

فصاح أحدهم بلهجة حادة غاضبًا: سنحقق بألستنا وليس بأعيننا وادعُ الله أن يحفظهما لك. اعتبر أنس هذه الجملة الأخيرة تهديدًا فصمت قليلًا، ثم طأطأ رأسه حتى ظنَّ المحققون أنه سيعترف. فقال أحدهم: ما زلت لا تريد الاعتراف؟ لدينا من الوسائل ما يجعلك تعترف حتى بما لم تتركبه، فتدخل أحدهم متهمًا: لكننا لا نستخدمها مع الإرهابيين المخضرمين أمثالك، بل استحدثنا لك أسلوبًا خاصًا يليق بك. فتضاحك أنس مرة أخرى، ثم قال: ما زحًا هو الآخر: وأنا أعرب لكم عن امتناني العميق على اهتمامكم بي. فصاح أحدهم بغضب بعد أن طرق المنضدة بيده: لن تنفع معه سوى الأساليب الأخرى، انقلوه إلى الحجرة الثانية. فصاح أنس: سأعترف بكل شيء، سأعترف بكل شيء. التفجير أنا المتسبب به. فقال أحدهم بعد أن نظر إلى صاحبيه ضاحكًا: لم أكن أتصور إرهابيًا بمثل حجمك سيعترف بهذه السرعة، إن أملك لعجيب، لقد ظننا أنك ستصمد لوقت أطول من هذا. وتدخل المحقق الثالث: إذاً فستجيب على أسئلتنا بكل سهولة؟ أليس كذلك؟. فصمت أنس ولم يجب. وتابع المحقق: نريدك أن نخبرنا بأسماء بقية التنظيم الإرهابي، وكيف حصلت على هذه القنبلة ذات الحجم التدميري الهائل. ظل أنس صامتًا فأعاد عليه المحقق السؤال مرة أخرى، فقال أنس بلهجة حادة واثقة بعد أن رفع رأسه كأنما يراهم من خلف العُصبة: لقد قلت لكم أنني أنا المتسبب في هذا الانفجار، لكنه ليس عملاً إرهابيًا. فتضاحكوا حتى كادوا أن يقعوا على أقيمتهم من شدة الضحك كأنما قذف بمزحة على أسماعهم. ثم صرخ أحدهم بعد أن استفاق من نوبته قائلاً: نحن هنا لا نمزح، لقد اعترفت أختك فاطمة بكل شيء ولا داعي للإنكار. فتغير وجه أنس وبدأ يتكلم بصوت حاد هادئ، فقال: سأخبركم القصة كاملة ومن البداية، ولكن بشرط ألا تحاولوا التذاكي عليّ، فأسأليكم العقيمة هذه

تمارسونها على عقول كعقولكم. نظر المحققون الثلاثة إلى بعضهم بعد أن أصابهم الدهشة، ثم أضاف: وأريد نزع هذه العُصبة عن عيني.

وتابع: أما أنا فلم أخطئ حتى أخبئ شيئاً. وإذا حاولتم التذاكي عليّ كأنكم تعرفون شيئاً مما سأقول فلن أتكم بعدها بكلمة. وهناك شرط آخر: إذا أردتم معرفة الحقيقة، أريد مالا يقل عن خمسة من الأساتذة المتخصصين في قسم الذرة لحضور التحقيق.

فصاح أحد المحققين متهمًا: لماذا لا تحقق أنت معنا وننتهي، ثم سأل متهمًا هل يأمر جنابكم بشيء آخر؟ ثم رمقه بنظرة حادة وبدأ يصرخ حتى انتفخت أوداجه من الغضب: أنت متهم، ولست في وضع يؤهلك أن تشتط علينا بشيء، أنت لا تعلم بأنك متهم في قضية كبرى، وأنت المطلوب الأول في العالم كأخطر إرهابي في التاريخ، أنت الشخص الأوحده الذي حاول أن يضرب مدينة بقبلة نووية، نريد أن نعلم من أين حصلت عليها؟ فقال أنس بلهجة باردة "إذا لقد بدأنا الآن".

ثم أضاف بلهجة حادة: قلت لكم أنني سأعترف بكل شيء فلا فائدة من الصراخ هكذا.

خرج الثلاثة لتداول الأمر فيما بينهم. فقال أحدهم: أعتقد أنه سيعترف تحت وطأة التعذيب. وأبدى الثاني موافقته على ذلك. فقال المحقق الثالث: لا لا... أعتقد أن وراء هذا الرجل سرًا كبيرًا. لقد حققنا مع مجرمين وإرهابيين عتاه، وكنا دائمًا على يقين بأنهم ارتكبوا الجرائم المنسوبة إليهم. يساورني شعور قوي بأن هذا الرجل ليس إرهابيًا كما تظنون، وأنه سيقول الحقيقة. وطالما قال سأخبركم بكل شيء؛ فلماذا لا نستمع لروايته أولاً؟ فربما تكون مقنعة. ولا تنسيا أننا حققنا مع الدكتورة فاطمة، ونعتقد أنها

ليست إرهابية، بالإضافة إلى أنها قالت كلامًا في التحقيق لم نعه جيدًا. فقال أحدهم: إذا فمن الأفضل أن نرفع الأمر إلى رؤسائنا ونخبرهم بما نراه، ونأتي بخمسة من الأساتذة كما طلب ونرى. وبالفعل جاءتهم الأوامر بأن "استمعوا لروايته ولنقرر بعدها، على أن يكون التحقيق في أسرع وقت، نريد أن نخبر سيادة الرئيس بنتائج هذا التحقيق حتى يطلع الشعب على الحقيقة."

وفي اليوم التالي بدأوا التحقيق مبكرًا، وبدأ أنس في سرد روايته من البداية، بعد أن قدموا له خمسة أشخاص على أنهم أساتذة في قسم الذرة. وبعد لحظات توقف أنس عن الكلام ورمقهم بنظرة فاحصة ثم التفت إلى المحققين. وقال: لقد قلت لكم أريد أساتذة متخصصين في الذرة. فقد لاحظ أنس أنه لم يسأل أو يستفسر أي أحد منهم عن أي شيء مما ذكر كأنهم يفهمون كل ما يقال، حتى نظر المحققون إلى بعضهم. ثم صاح مُعْتَفًا: لماذا تجهودون أنفسكم، هل تريدون من هذا التحقيق ألا ينتهي. لقد قلت لكم إني سأخبركم بالقصة كاملة. لماذا تريدون أن تسلكوا الطريق الصعب. فصمتوا ولم يردوا عليه بكلمة.

ورأوا بأنه من الأفضل أن يأتوا بخمسة أساتذة حقيقين حتى ينتهوا من هذا التحقيق؛ فهم يريدون معرفة الحقيقة في النهاية. فأول روايته متشابهة إلى حدٍ كبير مع رواية أخته. وحضر هذا التحقيق الثلاثة ضباط المكلفين بالقضية وكبار ضباط ورئيس جهاز المخابرات. واستمر في البداية سبع ساعات متواصلة إلى أن توقفوا للراحة، ثم تابعوا التحقيق.

كان الجميع يستمع لرواية أنس بإنصات وبحماس شديد؛ فقد كانت القصة كاملة غير مصابة بثلمة أو ثغرة. بالإضافة إلى قدرة أنس العجيبة على السرد والتوضيح.. الكل صامت فقط أنس من يتحدث ليستفسر واحد من الأساتذة كل فترة فيجيبه أنس بشرح مدعم بإشارات قادرة على توضيح

الإجابة، وقليل ما يقاطعه أحد المحققين ليستوضح مهمًا أو يستفسر غامضًا. وبعد خمس وأربعين ساعة هي مجمل عدد ساعات التحقيق، أيقن الجميع في قرارة أنفسهم بأن هذه القصة حقيقية. على الرغم من أن الضباط والمحققين لم يفهموا كل ما ذكره، وخاصة النقاط العلمية.

وسأله رئيس جهاز المخابرات: هل هذه الآلة التي أخرجتنا بها هي ما وجدناه في بيت الغنم؟ فقال أنس: نعم. فطلبوا منه أن يقوم بتشغيلها أمامهم. فأوماً برأسه أن نعم، ثم قال: لكن دعونا نبدأ بعد الغد. أراد أنس أن يعطي نفسه وقتًا للتفكير وإعادة تقييم الموقف خصوصًا بعد كل هذا الإرهاق الذي أصابه جراء التحقيق. فقالوا: نريد أن نراها الآن. فقال أنس: متعللاً لا أستطيع إجراء التجربة إلا بوجود مساعدتي د/فاطمة. كان فقط يريد أن يطمئن عليها. فقال رئيس المخابرات: لكنك ستجلس الأيام القادمة معنا وستُنقل إلى غرفة أخرى ملحقه بمكتب المحققين. فسأل أنس متعجبًا: لماذا؟ فقال الرئيس: فقط احتياطات أمنية. فأوماً أنس برأسه موافقًا.

وجلس يفكر: هل يعمل على تشغيل الآلة لترى النور وليبدأ استخدامها على نطاق أوسع لتنتفع بها البشرية؟ وهل ستكون في أيدي أمينة؟ وهل سيكون استخدامها آمن إلى درجة تجعلنا مطمئنين؟ وحاك القلق في صدره، ولكن لم يجد أمامه مخرجًا آخر سوى تشغيلها بعد أن علم بأمرها الجميع.

وطبعًا خبأ أنس بعض المعلومات عن المحققين؛ فهو لا يثق بأحدٍ، ولا يعلم ماذا سيحدث في المستقبل. فلم يخبرهم بأنه يمتلك سبعة مكعبات من المادة المضادة: فلا بد من الحذر وأخذ الحيطة. ربما لن يستطيع أحد تقدير قيمة هذه المادة. وربما تكون مطعمًا لأي شخص؛ فالجرام الواحد يُقدَّر بـ 65 مليار دولار؛ فما بالك بـ 70 جرام. ألا يعد هذا مطعمًا لأي إنسان مهما كانت قناعاته بالإضافة لقوتها التدميرية التي ليس لها نظير. لابد أن تكون هذه

المكعبات بأيدي أمينة. أما هذه الآلة فلا بأس أن تكون في أيدي السلطات المصرية.

وتم رفع الأمر إلى رؤساء الأجهزة الأمنية بعد الانتهاء من التحقيق للبت في هذا الموضوع. وأخذوا يتداولون الأمر فيما بينهم، وانصبَّ جُلُّ اهتمامهم على حماية الآلة من الوقوع في الأيدي الخطأ؟ وماذا لو وقعت في يد أي دولة عدو؟ بل ماذا لو توصل أحد إلى فكرة بنائها؛ فالخطورة لا تكمن فقط في المادة المضادة، وإنما أيضًا في استخدامها؛ فلها القدرة على نقل أي شيء أيًا كان في أقل من ثانية؛ فمن يدري ربما تستخدم في السرقة أو نقل المحظورات. حتى البشر ربما يستطيعون الانتقال بها إلى أي مكان؛ فقد تستخدم لنقل المجرمين أو النفاذ إلى مناطق حساسة بسهولة.

وإن كان أنس لم يفكر في تجربة نقل الإنسان خلال الآلة، إلا أنه من الممكن نظريًا، لكن لم يُعرف بعد تأثير المسارات على الخلايا البشرية. معنى هذا أن بمقدور أي شخص النفاذ إلى أي موقع فقط بتحديد خطوط الطول والعرض، ويرجع بما يريد دون أن يعترضه أحد.

فقال أحدهم: دعونا ننتظر أولًا تقرير الأساتذة فسيصل بعد قليل. وبعد نصف ساعة دخل ضابط ومعه التقرير. كان ملخص ما جاء فيه أن كل المعلومات العلمية التي ذكرها أنس صحيحة، لكن هناك معلومات أيضًا لم يتسنَّ لهم التحقق من صحتها؛ فهي جديدة بالنسبة إليهم، ولم يقل بها أحد قبل ذلك، ولكن نظريًا مقبولة، وربما تثبت صحتها بعد ذلك، ناهيك عن تعقيدها، أما الآلة، فلا نستطيع أن نثبت في أمرها قبل أن نراها ففكرتها غامضة وغير مفهومة ومبنيّة على هذه النظريات المذكورة. وكان التقرير يحتوي على فصل كامل عن ماهية المادة المضادة وخطورتها إن كانت موجودة من الأساس وشككوا في وجود الماء المضاد لاستحالة التحكم به

وصعوبة احتوائه. فأدرك رؤوساء الأجهزة الأمنية خطورة هذه المادة، ناهيك عن خطورة الآلة لو استخدمت بشكل خاطئ.

فتم تأجيل الأمر للبت فيه بعد تحديد موعد لاجتماع موسّع يحضره معظم قيادات الأجهزة الأمنية وعلى رأسهم رئيس الجمهورية؛ فالأمر لا يحتمل أن يتخذ أي شخص قرارًا منفردًا يختص بقضية ربما يكون لها بعد ذلك خطورة على الأمن القومي. وتم رفعه إلى رئيس الجمهورية وأخبروه بجميع تفاصيل القضية.

وفي هذه الأثناء، وقبل موعد الاجتماع، كان معظم القيادات الأمنية وما يقارب من عشرين عالمًا مصريًا متخصصًا في علم الذرة قد حضروا تجربة تشغيل الآلة، بعد أن وافق أنس على تشغيلها. وكان المشهد مبهيًا لم يستطع أحد أن يستفسر بأمر الآلة بعد أن أخذت الهالة بأبصارهم فوقفوا مشدوهين، لم يستطع أحد أن يعلق مع رفيقه من أثر الدهشة التي أصابتهم؛ فقد كان الموقف أكبر من أي شيء عدا الصمت؛ فقد أسرتهم التجربة تمامًا وأخذوا يتساءلون كيف استطاع شخصان فقط أن يصلا إلى هذه الآلة الخارقة حتى لم يصدق بعضهم ما رآه بأم عينه، واعتبروها خدعة أو ربما عملاً من أعمال السحرة؛ فقد كانت التجربة متكاملة من جميع النواحي.

وبينما كان الصمت مطبقًا عدا من أزيز الفجوة يخيم على القاعة، كسره صوت أحد العلماء متقوس الظهر جاعد الوجه متهرج الصوت لا تخفي عليه آثار الزمن متسائلًا وبصوت جهوري كأنما أراد أن يلفت انتباههم إليه بدلاً من الآلة: هل يستطيع الإنسان الانتقال بواسطة هذه الآلة؟

فقال أنس: هذا ممكن من الناحية النظرية لكن لم يتم تجربة ذلك حتى الآن. فصاح الرجل وأخذ يتمتم وهو مغتاظ: "نظريًا نظريًا" أريد دخول هذه

الفجوة الآن حتى تكون التجربة عملية، فأنا متشوق لمعرفة ماذا سيحل بي. فتعجب الجميع والتفتوا إليه حتى اشرأت إليه الأعناق ليرى هذا الرجل الشجاع وربما المجنون.

وبدأ الجميع يتساءل ماذا سيحل بهذا الرجل لو ألقى بنفسه في الفجوة؟ هل سينتقل بنجاح أم ستتحلل خلاياه. ثم قال أنس بلهجة باردة مخاطبًا الجميع: لا أعرف على وجه الدقة ماذا سيحدث للخلايا الجسدية. فصاح الرجل وقال بلهجة متغطسة: من قال بأنك ستتحمل النتيجة، أنا فقط من سأتحملها أيًا كانت. فرمقه أنس بنظرة حادة وقال: حتى لو تمت عملية النقل بنجاح فلا أدري ما هي الآثار التي ستترتب عليها بعد ذلك؟ فصاح الرجل ضاحكًا: أنا على يقين أن هذه الآلة خُدعة، لقد كنت أعلم من البداية، ها أنتم ترون، إنه لا يريد إجراء عملية النقل أمامكم والتفت إليه مضيقًا: طالما ما تدعيه حقيقة فمِمَّ تخاف؟ فتمتم أنس قائلاً: هذا الغبي لا أعلم أين قضى عمره كله، ولكن أراد أن ينتحر على يدي، فأنا لا أستطيع أن أغالب أحمق، فضجت القاعة بالكلام وعلت الأصوات وبدأت تخرج همهمات من هنا وهناك، ودخل الجميع في جدال حاد منهم المعارض ومنهم الموافق أيًا كانت النتيجة، وتساءل أنس هل ستكون خلاياه ثابتة إذا تم النقل بنجاح بعد التعرض لهذه الذبذبات أم سيموت نتيجة تأثيرها بها لقد وضعت يدي بداخلها بالفعل، ولم يحدث مكروه، لكن هذا انتقال لشخص كامل. ثم قال بعد أن ضرب كفاً بكف، وحرك رأسه يمينًا ويسارًا معترضًا على هذا الموقف: لم أتصور أن أحدًا يريد أن يقذف بنفسه داخل فجوة تضرب كالبرق هذا هو الجنون بعينه.

الغريب أن أحدًا من الحاضرين لم يحاول أن يثني هذا الرجل عن رأيه؛ فقد كان الجميع متحمسين لمعرفة نتيجة نقل شخص كامل أيًا كانت النتيجة؛

فقد كان الأمر مثيرًا إلى حد بعيد. وبالفعل أعدوا فريقًا طبيًا واستعدوا لإجراء عملية النقل بعد أن أخذوا منه موافقة خطية بأنه في كامل قواه العقلية ومسئول مسؤولية كاملة عن النتائج أيًا كانت. اختار أنس خطوط طول وخطوط عرض تبعد عن الجهاز بمقدار واحد كيلومتر. وقاموا بتصوير المكان بكاميرات الفيديو، وانتقل بعض الحاضرين إلى المكان المحدد ليروا النتيجة بأعينهم.

تكونت فجوة صغيرة، بعد أن قام أنس بتشغيل الآلة، وبدأ يزيد في مقدار الطاقة الناتجة حتى أصبحت الفجوة من الاتساع بحيث تستطيع أن تبتلع حجمًا بقدر الإنسان. وأعطى إشارة لدخول الرجل إليها. لم يتردد لحظة، اقترب منها ثم أمال برأسه جانبًا كأنما يتفحصها ثم ألقى بنفسه فيها، فشقق الجميع شهقة رجل واحد، ونظر كلٌّ منهم إلى الآخر متسائلين أين اختفى، وبدأت تعلو الهمهمات والصيحات من هنا وهناك واختلطت أصوات الاستنكار بأصوات التأييد.

خرج الرجل في المكان المحدد كأنما انبثق من الفراغ وهو ينظر إلى جسده يتفحصه، لا يكاد يصدق بأنه خرج كامل الأعضاء، وبدأت الهمهمة تعلو والهمس يزداد، واقترب بعضهم وأخذوا يتحسسونه خشية أن تكون أعينهم قد خانتهم. فصاح أحدهم: "لقد انتصرت البشرية اليوم"، وهمس آخر كأنما يحدث نفسه وهمهم قائلاً: "لقد جنت البشرية على نفسها اليوم".

سمع أحدهم قول الرجل، فرمقه بنظرة حادة غاضبة ثم سار إلى أن وقف بجواره وسأله: ماذا قلت؟ فقال متلعثمًا بعد أن أشاح بيديه إلى الخلف: لم أقل شيئًا، فقط مرتبك ومتحير لما أراه. ثم أشاح بوجهه بعيدًا وأسر إلى نفسه قائلاً: هؤلاء الغوغاء لن يفهموا لو تكلمت بشيء، وحتماً سيرمونني بالجنون.

أحاطت الأجهزة الأمنية الأمر بالسرية التامة والكتمان وخاصة عن أعين وسائل الإعلام؛ نظراً لخطورة الآلة. وتم عمل تحريات وكتابة ملفات أمنية لكل من حضر التجربة، وكل من عَلمَ بأمر الآلة حتى الضباط بعد أن أوصى خبراء الأمن بذلك. وأخبروهم بأن هذا الأمر له علاقة بالأمن القومي وسري للغاية.

وأي شخص عرف بأمر الآلة سيتم تسريب معلومات من خلاله لأي أحد كان، فسيقع تحت طائلة القانون، واتفق الجميع على ذلك. فقد كانوا يدركون خطورة الآلة لو وقعت في الأيدي الخطأ.

وجاء موعد الاجتماع الموسَّع بعد أن درس كل شخص القضية جيداً من جميع جوانبها. وفي بداية الاجتماع أعطى سيادة الرئيس الإشارة لبدء المناقشة. وأدلى فيها كل واحد بدلو، وتمت مناقشة معظم الآراء، وكانت تدور حول رأيين متضادين تمامًا.

الرأي الأول: يرى أن الآلة ربما تكون خطراً مُحدقاً بالبشرية. وقد تستخدم لأغراض غير إنسانية وربما تقع فكرة بنائها في أيدي غير مسئولة، فضلاً عن خطورة المادة المضادة، وهنا ستحل الكارثة ولا أحد يستطيع التنبؤ بحجمها، وأوصوا بإعدام الآلة وتحريق كل تصميماتها ووضع أصحابها وكل من عرف فكرة بنائها تحت الإقامة الجبرية.

أما الرأي الآخر: فإنه يرى وجوب تشغيل الآلة وعدم تحجيمها، بل يجب العمل بها علانية والاستفادة منها في كل شؤون الحياة بما يحقق النفع والرخاء للبشرية، ويجب أن تستخدم على أوسع نطاق لتسهيل عملية النقل، وستكون بديلاً عن وسائل النقل المتعارف عليها، وربما تستخدم كوسيلة للنقل التجاري بين البلدان، ولم لا يتم العمل على تطويرها وإنشاء منافذ في

معظم أنحاء الجمهورية بحيث تتجمع مراكز التحكم التي تحتوي بالضرورة على الماء المضاد في مكان سري آمن تحت سيطرة الدولة، وبمجرد دخول الفرد إلى هذا المنفذ يمكنه الانتقال إلى المواقع المرادة بتحديد خطوط الطول والعرض، ولبمسة زر يحدث انتقال إلى أي مكان في أقل من ثانية.

وقبل انتهاء الاجتماع بقليل، صرخ أحدهم صرخة التفتت إليها الرؤس وأشرأبت لها الأعناق وأخذ يصيح: ماذا لو وقع جرام واحد من هذه المادة في الأيدي الخطأ. أنتم لا تتخيلون العواقب، ماذا لو اندلعت الحروب واستخدمت فيها هذه الطاقة الجبارة؟ وأخذ يشير بيده يمنة ويسرة، وقام من مكانه منتفضاً وتابع: أنتم لا تتصورون القوة التدميرية لهذا السلاح؛ فالجرام الواحد يُنتج ما يعادل طاقة آلاف القنابل النووية، يمكنها إبادة نصف الكرة الأرضية في لحظات؛ فخيم الصمت على الجميع ولم يجب أحد. وأضاف: من يستطيع منكم تحمّل نتيجة هذه الكارثة؟ ثم نظر إلى الرئيس مغضباً، وصاح: أطلب من سيادتكم إعدام الآلة وإعدام مخترعها وكل من يملك أو يستطيع اختراع مثل هذه الآلة أو حتى على علم بأمرها.

فردّ الرئيس متهمكاً: بالتأكيد سيتم إعدامهم وأنت فيهم أليس كذلك؟ فصمت الرجل كأنما أُلجم حجراً، وهنا ضجت القاعة بالكلام وارتفع صوت الحاضرين.

وما إن ابتدأ الرئيس بالكلام، حتى خيم الصمت على القاعة، وسكن الجميع كأن على رؤوسهم الطير. وقال: نستطيع تشغيل الآلة بوضع بروتوكول يمكننا أن نتفق عليه جميعاً، وإذا تم خرقه من أي شخص كان أو أي مؤسسة، ستقع عليه عقوبة ربما تصل إلى الإعدام. وارتفع صوت الرجل الذي كان يصرخ منذ قليل: ما فائدة الإعدام إذا حدث خرق للبروتوكول؟ سيكون كل شيء قد انتهى، ستكون هناك عواقب وخيمة لا يتخيلها أحد. وأخذ يصرخ: إنكم لا تعلمون ما أنتم بصدده، ولا تعرفون ما أنتم مقدمون

عليه. حتى بدأ بالعويل: أنتم لا تفهمون شيئاً لاتفهمون شيئاً، ستستسيبون في كارثة قد تُفني البشرية. وهنا تدخل الأمن وتم استبعاده من القاعة بعدما فشلوا في تهدئته، ثم تبسّم الرئيس ورفع أحد حاجبيه، وقال مازحاً: لقد فقدَ الرجل عقله.

ودعا الحاضرين للتصويت على بنود البروتوكول، وتم اعتماده بعد الموافقة عليه بأغلبية غير كبيرة، وكان يحتوي على عدة نقاط من أهمها:

- موافقة سيادة الرئيس موافقة خطية. وموافقة جميع رؤساء الأجهزة الأمنية ومجلس الدفاع والأمن القومي إذا دعت الضرورة لتشغيل الآلة. ووضعوا كل هذه القيود لأنهم يعلمون أن الإجماع سيكون شبه مستحيل، وبذلك سيتجنبون تشغيل الآلة تمامًا. إلا في حالات نادرة جدًا ربما لن تأتي أبدًا.

وأمر الرئيس بتشكيل فريق من العلماء وعلى رأسهم أنس و د/فاطمة، بعد أن أعطاه رتبة لواء شرفي تقديرًا لجهوده في اختراع الآلة، على أن يكون مسموحًا للفريق الرجوع إلى الرئيس بصورة مباشرة في حالة حدوث أمرٍ يستدعي ذلك، وستكون مهمة الفريق العمل على تطوير الآلة بحيث يتم تأمينها أكثر فأكثر، واستخدامها بدون قيود في المستقبل القريب وعلى نطاق موسّع.

وتم تقديم وثيقة البروتوكول لسيادة الرئيس للتوقيع عليها. ووقع بالفعل لكنه لم يكن يعلم بأنه أعطى تصريحًا لإنهاء البشرية..!

* * *

وسذاجة مهلكة

بعد مضت خمسة أعوام، بدأت تظهر شواهد لم ترقَ إلى درجة كبيرة من اليقين، ولم يتم التأكد منها بعد أن شوهد شخص انبثق من الفراغ عدة مرات وفي أنحاء متفرقة من العالم، بعد أن تكونت هالة بيضاء تمخضت عنه.

بدأت تكثر وتكرر هذه الظاهرة في أنحاء كثيرة من دول العالم، حتى أصبح الجميع يتحدثون عنها، وبدأت بعض وسائل الإعلام مناقشة هذه الظاهرة بعد محاولات عديدة لتفسيرها.

وبالصدفة سمع أنس على شاشة التلفاز لقاء مع عائلة قد عايشت هذه اللحظة، وروى أحدهم: "ذات مساء بينما كنا جالسين على شرفة المنزل إذ فجأة ظهرت أمامنا هالة بيضاء من لا شيء تمخضت عن رجل، فتملكنا الرعب حتى تسمر كلُّ منا في مكانه، بينما كان يرمقنا بنظراته بعد أن أمال برأسه قليلاً كأنما يتفحصنا، لا يخلو وجهه من علامات التعجب والدهشة، كأنما نحن من خرجنا من الفراغ حتى كادت قلوبنا أن تتوقف، ثم التفت إلى الورا وانطلق مبتعداً، فتبعته لكنه سرعان ما اختفى عن أنظارنا، لقد

أعيانا تفسير ما حدث حتى عزونا ذلك إلى الوهم بالرغم من استحالة توهمنا ذات الشيء في نفس الوقت لكن هذا ما حدث."

بعد أن استمع أنس لهذا الحوار أصابته الحيرة. وعلى الفور طلب مقابلة الرئيس، وأخبره بشكوكه بل بيقينه أن هناك أحدًا آخر يمتلك آلة مشابهة، وربما يستخدم نفس الآلة. وبالتأكيد سيكون أحد الأشخاص الذين يعلمون بأمر الآلة، ثم قال أنس بلهجة واثقة بعد أن رmqه بنظرة ملؤها اليقين: يا سيادة الرئيس كلي ثقة بأن هذه التقنية لن يستطيع أن يصل إليها أحدٌ لا الآن ولا في المستقبل القريب. فقال الرئيس بعد أن أخذ نفسًا عميقًا، ثم تهدد قائلاً: هذا ما كنت أخشاه، نتمنى أن نكون قد اتخذنا كافة الإجراءات والتدابير الوقائية، واستعدنا لأي مكروه. فهز أنس منكبيه ولوى شفتيه كأنما أراد أن يقول "أتمنى ذلك أيضًا"، ثم سأل الرئيس: ماذا تقترح أن نفعل؟ فقال أنس بجملة مقتضبة بعد أن رmqه بنظرة حذرة: "تشغيل الآلة". فقال الرئيس بعد أن ضرب المكتب بيده غاضبًا: "أنا أرفض ذلك تمامًا" فرmqه أنس بنظرة ذات مغزى، فتدارك الرئيس مضيقًا وبصوت هادئ: من المستحيل أن يوافق الجميع على تشغيل الآلة. فقال أنس: لقد ادخرناها لغرض مثل هذا نستطيع تحديد مكان الآلة الأخرى بسهولة عندما يتم تفعيلها، وبإمكاني تحديد جميع المسارات المفتوحة، ولن يحدث مكروه. وما زال أنس به حتى دعا إلى اجتماع لمناقشة الأمر.

وبعد أسبوع، اجتمع الرئيس بمجلس الدفاع والأمن القومي ورؤساء الأجهزة الأمنية وأطلعهم على الأمر، فاعترض بعضهم ووافق آخرون. فوقف أنس أمامهم وقال: يا سادة إن امتلاك أي شخص لهذه الآلة لا تُعرف هويته من

قَبْلَ الأجهزة الأمنية هو في حد ذاته خطورة أكبر من تشغيلها. فما يدريكم بينما نحن نتكلم الآن قد تكون الآلة الأخرى قيد التشغيل، بينما يعيث صاحبها في الأرض فسادًا، ثم ماذا يضمن لكم أنه لا يخطط للسوء في هذه اللحظة. وما زال بهم يحدثهم عن خطورة الوضع حتى وافق الجميع بصعوبة. وبالفعل انتزع أنس الموافقة كتابيًا. وهرع إلى الآلة وجعلها قيد التشغيل لرصد أي ذبذبات تصدر عنها وحساب تردداتها، وبالتالي يمكن تقدير طول المسار المفتوح لتحديد موقعها عن طريق خطوط الطول والعرض. وبعد مضي شهر على تشغيل الآلة لم يتم تسجيل أي مسار مفتوح خلال هذه المدة. حتى يأس أنس من العثور على الآلة الأخرى؛ فقد ظن أنه أخطأ في تخمينه باحتمالية وجود آلة أخرى، وكانت ترفع التقارير يوميًا إلى مؤسسة الرئاسة لمتابعة التطورات أولًا بأول . حتى همَّ أنس أن يخبر سيادة الرئيس بنيته لإغلاق الآلة.

وفي مساء نفس اليوم، وقبل اتخاذ قرار الإغلاق، قامت الآلة بتسجيل مسار مفتوح، في نفس اللحظة استطاع أنس أن يتتبع بداية ونهاية المسار. وكانت المفاجأة بداية المسار تبعد فقط عن مكانه 100 كم، هذا يعني أن الآلة الأخرى موجودة في مصر. فقام أنس بتحديد الموقع بدقة على خطوط الطول والعرض، ونظر إلى الشاشة محملًا ليتثبت، فجحظت عيناه من الدهشة وأغمضها عدة مرات لا يكاد يصدق، ثم صاح بعد أن وضع يديه على رأسه: يا إلهي.. الموقع يشير إلى بيت أختي" ثم جلس بعد أن اعتراه دوَّار كاد أن يوقعه أرضًا، ثم تمتم: كيف فاتني هذا؟ إنها الوحيدة على ظهر الأرض التي تستطيع بناء آلة مشابهة. ثم انتفض مستقيمًا بعد أن ضرب يديه على فخذه

مُغضِبًا، وصاح: يا إلهي فما زال بحوزتها بقية مكعبات الماء المضاد. ثم قال غاضبًا: لقد وضعت نفسها في مشكلة ربما لن يستطيع أحد إخراجها. وعاد إلى جلوسه مرة أخرى واجمًا ثم قال بعد أن ضرب كفًا بكف: ربما تصل العقوبة إلى الإعدام، وأخذ يعنّف نفسه: أنا الملام على ذلك؛ فأنا لم أرها أو أسمع أخبارها منذ ما يقارب السنة ونصف.

أخرج هاتفه على الفور وحاول الاتصال بها لكن دون طائل، أعاد الاتصال عدة مرات وكانت النتيجة واحدة: لم يرد أحد.

قام بإبلاغ سيادة الرئيس على الفور بأن الفجوة موقعها مصر. ثم قال: لقد استطعت تحديد موقع الآلة الأخرى، وصمت، فقال الرئيس: أين موقعها بالتحديد؟ فقال أنس متململاً بعد أن تضرع وجهه دمًا: هناك احتمال بتورط أختي في هذا الأمر. فحدجه الرئيس بنظرة حادة ولم ينطق، وعلى الفور صدرت الأوامر وتوجهت قوة أمنية بصحبة أنس إلى المكان المحدد.

طرقوا الباب بقوة لم يجب أحد فاقتحموا الشقة بعد أن هشمو الباب، وكانت المفاجأة: آلة نقل مكتملة البناء قيد التشغيل، وفجوة في طور التكوين يقف أمامها زوج فاطمة ممسكًا بحقيبة صغيرة وفي مواجهتها مباشرة، بينما كانت زوجته مقيدة في زاوية الغرفة لا تصدر عنها أي حركة ورأسها يشخب دمًا مما بدا أنه من أثر شجار. رفع رجال الأمن السلاح في وجهه وحذروه من أن يأتي بحركة وأمره برفع يديه فوق رأسه والالتصاق أرضًا لكنه لم ينطق سوى بكلمة واحدة بعد أن التفت إليهم وهو يبتسم "مفاجأة". ثم ألقى بنفسه في الفجوة، فأطلقوا عليه النار لكن بعد فوات الأوان.

قفز أنس باتجاه الآلة لتحديد نهاية المسار المفتوح ليتمكنوا من ملاحقته، وتم تحديد موقع الفجوة الأخرى في نهاية المسار في خط طول وعرض يشير إلى موقع في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية.

ثم هرول إلى أخته مسرعًا، وجلس بجانبها وأحاطها بذراعيه، وبدأ ينتحب ويقول بينما أخذ يبكي بشدة: لقد قصرت بحقك يا أختاه، فلم أعد أراك كالسابق، أنا المخطئ؛ فلم أرك أو أطمئن عليك طيلة هذه الفترة، وسرت في أوصاله رعشة بعدما رأى يديه ملطخة بالدماء، فعلا نحيبه وأخذ يردد: كأنما فقدت روحي، كأنما فقدت روحي، فكيف أعيش بدونها هيا انهضي لنكمل المسيرة التي بدأناها، فلولاك لما وصلت لشيء، وأخذ يهزها بعنف كأنما ستعود للحياة، هيّا يا أختاه، عودي إليّ، سأذهب في رحلة إلى كالفورنيا، ألا تريدان أن تأتي معي.. وأخذ ينوح: هيّا أفيقي لنعيد التجربة مرة أخرى، بالله عليك لنبني الآلة مرة ثانية، ثم تهللت أسارير وجهه فجأة كأنما عاد إلى الحياة بعدما أحس بنبض ضعيف، بينما كان يمسك بمعصمها، وأخذ يصيح كالمجنون: سيارة إسعاف، استدعوا سيارة إسعاف في الحال. وتم نقلها إلى المستشفى على الفور.

وجدت أنس ومجموعة من كبار الضباط يلتفون حولها بعد أن أفاقت من غيبوبتها، فنظرت إلى أخيها، وأخذت تجهش بالبكاء وتنتحب وتقول: لقد خدعني، لم أكن أتوقع منه أن يفعل ذلك؛ لقد خدعني هذا الجبان. فقال أنس بعد أن جلس بجانبها وضم كلتا يديها محاولاً تهدئتها: ماذا حدث؟

فتابعت بصوت متهدج: لقد أخبرته بما وصلنا إليه أنا وأنت من معرفة قادتنا إلى اختراع الآلة. فلمعت عيناه بفكرة ما إن عرضها عليّ حتى استنكرتها بشدة، وما زال بي وهو يحاول إقناعي بإنشاء آلة خاصة بنا، وأخذ يقول: نستطيع معاً أن ننقل بها إلى أي نقطة في العالم دون عناء. نستطيع أن نقضي معاً أوقاتاً جميلة. تخيلي معي سيكون بمقدورنا الجلوس على جزيرة غير مأهولة ليس عليها أحد سوانا. نستطيع أن نذهب إلى قمم الجبال في لحظات. يمكننا زيارة كل المناطق السياحية في العالم دون مشقة أو عناء. لا تعلمين ما بقدر هذه الآلة فعله. سنقضي بقية حياتنا في مغامرات مثيرة. نستطيع أن نفعل كل ما نريد. مالذي يخيفك من بناء الآلة، أعدك بأنها ستكون سرنا الكبير، لن يعلم أحد بأمرها غيرنا. فقط أنا وأنت.. تستطيعين أن تثقي بي، أنت تعلمين ذلك جيداً. وظل بي وهو يحاول إقناعي عدة أشهر وأنا أرفض حتى رضخت بالنهاية، وقلت في نفسي: ما الضير من إنشاء الآلة طالما أنها ستظل سرّاً، وليس هناك ما يمنع من بعض المغامرات هنا أو هناك، لقد وثقت به لكنه خدعني وحدث ما رأيت.

وبعد أن قمنا ببنائها عشت حياة من أسعد ماتكون، وقمنا بمغامرات عديدة وشيقة، لكنه تغيّر فجأة، ولم أعرف ما الذي أصابه؛ لقد ظننت أنها فترة وستنتهي. وبدأت تعصف بذهنه أفكار غريبة وبدأ يتحدث عن أشياء ويردد كلمات لم أعهدها منه قبل ذلك: "إنني أستطيع أن أسيطر على العالم". "سأصبح أغني رجل في العالم بل على مرّ التاريخ". "أستطيع أن أتحكم في مصائر الناس" وبدأ ينتقل بالآلة بمفرده، ولا أعلم أين يذهب عندها بدأت

أرتاب في أمره، ففكرت بإعدام الآلة، ولكن لم يسعفني الوقت وحدث ماحدث.

فقال أنس: الحمد لله إنك الآن بخير والخسائر محدودة، وقمنا بإعدام الآلة وذهب إلى شأنه، والأهم من ذلك أنه لا يعرف كيفية بنائها، ثم قال بلهجة آسفة: لكنك الآن تحت طائلة القانون ولا أستطيع فعل شيء.

ثم أضاف وأخذ يُعَنِّفها: ماذا كنتِ تعتقدين أنك فاعلة؟ ربما نتج عن ذلك كارثة. من كان سيتحمل ذلك. الآن أنت ستتحملين نتيجة أخطائك.

فانفجرت بالبكاء، ثم قالت بصوت متهرج يملؤه الأسى والألم: لقد حلت الكارثة وانتهى كل شيء. فعقد أنس جبينه بعد أن لوي يديه باتجاهها وحملق بوجهها وقال: لا أفهم ماذا تقصدين؟ فقالت بصوت خفيض متهرج: لقد أخذ الخمس مكبات التي تحوي الماء المضاد في الحقيبة التي كانت بيده. لم تكذ تنتهي من كلامها حتى قفز أنس من مكانه كأنما لدغته حية. وأخذ يصيح بصورة هستيرية كأنما أصيب بِلَوْثَةٍ في عقله: إذاً لقد حلت الكارثة لقد انتهى كل شيء، ماذا سنفعل الآن؟ ماذا سنفعل؟ لا لا بل ماذا سيحدث وبدأ يهذي كالمدرّوس. ثم رمقها بنظرة حادة حتى كاد أن يتوقف قلبها بعد أن اقترب منها وصرخ: أين كان عقلك؟ ما هذا الغباء الذي حلَّ بك؟ كيف استطعت أن تفعلي ذلك؟ ثم صاح بلهجة جامدة: ليتك مِتَّ قبل أن يحدث شيء، عندها لم أكن لأحزن أبداً. فأجهشت بالبكاء، وصاح أنس: نعم فلتبك على خطيئتك.

وخرج من المستشفى مسرعاً، وطلب مقابلة الرئيس على الفور، فأخبروه بأنه مشغول ولن يستطيع مقابلة أي شخص الآن، فأخذ يصيح ويدور في الغرفة

حتى بدا كالمعتوه، وأخذ يصيح: هناك كارثة على وشك الحدوث أيها الأغبياء بل ربما حدثت بالفعل، أريد الرئيس أمامي الآن. فعلم الجميع بوقوع خطب جلد. وفي خلال خمس دقائق، دخل عليه الرئيس فرأى علامات الفزع بادية علي وجهه فتيقن بوقوع مصيبة تخص الآلة؟

فصاح الرئيس: ماذا حدث؟ بعد أن حاول تهدأته، فأطلعه أنس بالقصة كاملة بينما كان يرتعد. وأخبره بخطورة المكعبات التي تحوي الماء المضاد وقدرتها التفجيرية الهائلة ثم قال: والمصيبة أننا لا ندرى أين هي الآن.

انتفض الرئيس من مكانه صارخاً: أيها الأحمق لم يخبرني أحد بشأن هذه المكعبات. ثم رمق أنس بنظرة حادة كادت أن تفنيه وتغيرت تعابير وجهه بعد أن انتفخت أوداجه ثم صاح: أنت تعرف الآن أن عقوبتك الإعدام.

وخطر في ذهنه أن يأمر بالقبض على أنس و فاطمة على الفور وكل من يعلم بأمر الآلة ووضعهم في السجن جميعاً وإعدامهم لو لزم الأمر؛ لكنه يعلم يقيناً أنه لو وجدَ مخرج لهذه المصيبة ولو بنسبة واحد بالمائة فسيكون بأيدي هذين الاثنين.

فسمح لأنس بالانصراف على أن يكون متاحاً في أي لحظة: فالحكومة والدولة في حالة طوارئ حتى يجدوا هذا الرجل، أو بالأحرى المكعبات.

* * *

أفضت إلى صفقة قبيحة

في مقهى هادئ من مقاهي العاصمة واشنطن.

- 45 مليار دولار لهذا المكعب كما اتفقنا...

- لا لم نتفق على هذا المبلغ، إذا أردت إتمام الصفقة فستدفع لي 55 مليار دولار، أنت تعرف أن قيمة الجرام الواحد تتخطى هذا الرقم بكثير، وعلى الرغم من هذا سأعطيك بهذا المبلغ 10 جرامات أيضاً المكعب مقابل 55 مليار ماذا قلت؟ ألا ترى أنني كريم؟

سأوافق على هذا المبلغ شرط أن تخبرني من أين حصلت على هذه المادة؟

- لا، ليس هذا من شأنك، فيما أن تقبل الصفقة أو ترفضها دون شروط، فهناك عروض أخرى في انتظاري...

- إذا دعني أرى المكعب أولاً..

- ليس معي الآن، فلست ساذجاً لهذه الدرجة كي أتجول به هكذا، سنتفق على موعد لتحويل المال وتسليم المكعب.

- اتفقنا.

كانت اللغة التي يتحدثون بها هي الإنجليزية، وكان الرجل الآخر ذو ملامح أوروبية ولغته الإنجليزية جيدة، ولكنها مصحوبة بلكنة تدل على أنها ليست اللغة الأم. استقام الرجل ذو الملامح الأوروبية واقفًا، ثم استدار بعد أن اتفقا على طريقة التواصل من خلال رقم هاتف أعطاه للزوج. بينما أخذ الزوج يراقبه إلى أن وصل إلى صاحبه الذي كان يقوم بقيادة السيارة التي كانت تنتظر بالخارج بينما كان آخر يجلس في المقعد الخلفي يرمق الزوج بنظراته الحادة.

سأله السائق: ماذا حدث مع العربي؟ فأجاب الرجل ذو الملامح الأوروبية: لقد اتفقتنا على التبادل من خلال موعد سنخبره به لاحقًا من خلال شريحة أعطيتها إياه. ثم تابع قائلاً وهو يتضحك: لكني لم أر سذاجة أكثر من التي تبدو على صاحبنا قبل ذلك.. كل همه فقط الحصول على الأموال، لكني أعتقد أنه لن يجد مكانًا لصرفها، ستكون هذه الأموال لقيمة لها بعد تنفيذ المهمة.

بدأ الرجل الجالس في مؤخرة السيارة يقهقه بنشوة وقال متهمكًا: أعتقد أنك الساذج؛ فهو بالتأكيد لن يكون حيًا حتى يستغل هذه النقود، بالإضافة إلى أنها ستكون فقط مجرد أوراق لا قيمة لها آنذاك. فضجت السيارة بالضحك، فقال السائق بنبرة حادة وبصوت هادئ: أعتقد أن خيالكم ضحل أو أنكم لا تعلمون جيدًا آثار ما ندبر له. لن يكون هناك أي أثر لأي شيء. فصمت الجميع برهة ثم علت وجه الرجل ذي الملامح الأوروبية ابتسامة خبيثة، وقال: نريد أولًا التثبت من أن ما سيبيعنا إياه هذا الساذج هو ماء مضاد بالفعل.

فردَّ السائق: لا تقلق من هذا الأمر، فمعنا فريق من العلماء على أعلى المستويات، وقد تم التخطيط لكل شيء بدقة، ثم أضاف: أنا مؤمن تمامًا بأن اليوم الموعد سيعيد المجد التليد لأمتنا، وسنتخلص من هؤلاء الأغيار،

ومن سيبقى منهم سيتم استعباده. هذه اللحظة التي طالما انتظرناها قروناً. لقد حان الوقت للسيطرة على العالم.

رجع الزوج إلى غرفة الفندق، فلم يجد شيئاً في مكانه، فتيقن أن حياته أصبحت في خطر، وهناك من يتعقبه بالفعل، لكنه لم يكن بهذه الدرجة من السذاجة ليترك المكعبات في غرفته؛ لقد أودعها في خزانة بنك لحفظ الأشياء الثمينة بعد انتقاله بالآلة مباشرة.

بدأت المخابرات المصرية تتعقب الزوج من أول لحظة علموا فيها بالكارثة، بعدما أخبرهم أنس بأن نهاية الفجوة كانت تصب في واشنطن العاصمة.

وتم رصده بعد يومين فقط من هروبه. كانت ثعالب المخابرات المصرية تتعقبه بدقة على مدار 24 ساعة، راقبوا كل تحركاته حتى أنهم رصدوا المقابلة التي تمت في ذلك المقهى، بينما دخلوا غرفته بالفندق بحثاً عن المكعبات لكنهم للأسف لم يجدوا شيئاً. ولا يستطيعوا القبض عليه قبل أن يضعوا أيديهم على المكعبات. وللأسف كانت هذه هي الفرصة الوحيدة أمامهم لتوقيفه لكنهم أضاعوها.

كانت التقارير ترفع إلى الرئيس بصورة دورية كل 24 ساعة لمتابعة آخر التطورات بعد أن أوقف الرئيس مؤسسة الرئاسة فقط لحل هذه القضية، وبدأ الأمر يتسرب إلى وسائل الإعلام وأصبح الوضع صعباً للغاية، أما التقرير فكان ملخصه: وجود مجموعة متطرفة تؤمن بتفرد عرقها، تعتقد بنقاء جنسها، وأنه فوق كل الأجناس يؤمنون بضرورة تدمير العالم ليظهر مخلصهم ويؤمنون بأنهم الوحيدين الذين لهم حق الحياة.

يسعون منذ زمن لامتلاك سلاح فتاك لإنفاذ مخططهم، يريدون إشعال شرارة الحرب العالمية الثالثة، وباءت كل خططهم بالفشل. حتى وقع في أيديهم ما هو أكبر من شرارة لإشعال الحرب.

امتنع وجه الرئيس بعد قراءة التقارير، واثارت ثائرتة وبدأ يصيح غاضباً كأنما جُن جنونة ودعا فوراً إلى اجتماع مجلس أمني موسّع لمناقشة آخر التطورات. وخرجوا من هذا الإجماع بتوصيات أهمها ضرورة التحرك على كافة المستويات، وصدرت الأوامر باعتقال هذا الزوج الغبي فوراً حتى لو لم يصلوا إلى المكعبات وإجباره على الاعتراف بكافة الوسائل؛ فالأمر جد خطير، ربما يكون هذا كفيلاً بعرقلة إتمام الصفقة ولو لبعض الوقت حتى يجدوا المكعبات. ثم قال الرئيس: وبمجرد التوصل إلى معلومات مؤكدة تفيد بمكان المكعبات فأنا أعطي الأمر المباشر بتصفية الرجل بأي صورة وبشكل فوري. ويجب التواصل مع الدول العظمى: أمريكا وروسيا والصين، وإطلاعهم على ما لدينا من معلومات على أمل أن يصدقونا. ثم نظر إلى الجميع واعتدل واقفاً: وقال يا سادة استعدوا، فربما نحن على أعتاب النهاية، فليوفقنا الله.

بعد تفتيش غرفة الفندق علم الزوج أنه مراقب. لم يدر بخلده بأن المخابرات المصرية قد توصلت إليه وهي التي تقوم بمراقبته. فبدأ يأخذ حذره، وبالفعل نجح بالتخفي عن أعين المخابرات، واستطاع الإفلات من قبضتهم.

وأسقط في أيديهم، فربما تمت الصفقة في أي وقت ولن يعرفوا لا المكان ولا الزمان المحددين للتسليم.

رن جرس هاتف الزوج وأخبروه باستعدادهم للمبادلة في الغد، فطلب تأجيل موعد الصفقة بعد أسبوع. كان يريد التأكد من تملّصه من المراقبة بالفعل. فقبول بالرفض فأخبرهم بأنه مُضطر إلى إبرام صفقة مع منظمة أخرى، فلم يجدوا بُدّاً من الرضوخ والموافقة. وبعد مرور خمسة أيام تم الاتفاق على مكان وموعد المقايضة. ولأنه لا يأمن جانبهم فربما تمت خيانتته وتصفيته، أخذ المكعب من خزانة البنك بسهولة بعدما أيقن أنه قد أفلت من قبضتهم ولجأ إلى حيلة ذكية. وضع مكعب الماء المضاد مع مكعب مماثل

الحجم تقريباً يحتوي على مادة شديدة الانفجار وربطهما بإحكام حتى صارا كأنهما مكعب واحد، وذهب في الموعد المحدد.

عندما وصل تفاجأ بمجموعة مسلحة تتألف تقريباً من 10 أشخاص، ولح بطرفه قناصة منتشرة أعلى المنازل المحيطة. مكان عام بموازة النهر شبه مهجور تنعدم فيه الحركة تقريباً، فقال الزوج: مكان مثالي للمبادلة بالنسبة إليهم أما بالنسبة إلى فأسوأ ما يكون، فهؤلاء القوم محترفون. وتردد في إتمام الصفقة وامتلاً قلبه خوفاً بعد أن رأى كل هذا العدد والعتاد من الأسلحة، وشعر بأنهم يضمرون الشر، ولكنه قد وصل بالفعل ولا يستطيع أن يدير ظهره.

فصاح الزوج: لم نتفق على هذا. فقال القائد: لا تقلق، دعنا فقط نرى المكعب. فلم ينبس ببنت شفة ودس يده بحقيبة وأخرجه ببساطة جعلتهم يتشككون في أمره. فتساءل القائد طالما أنه لا يأمن لماذا أخرج المكعب بهذه البساطة؟ لقد امتلاً قلبه رعباً، نستطيع قتله الآن بسهولة وأخذ المكعب منه دون أن نعطيه شيئاً.

تقدّم الرجل ذو الملامح الأوروبية وأخذ المكعب وأعطاه للقائد. وقال الزوج بلهجة واثقة بعد أن علت وجهه ابتسامة خبيثة: الماء المضاد في المكعب على الجهة اليمنى. فسأله القائد بلهجة حذرة: ما فائدة المكعب الآخر. فقال الزوج: "قنبلة".

فاتسعت مقلته ورفع حاجبيه وتغضبت جبهته ثم خَلَف ذلك ابتسامة مأكرة فطمأنه الزوج قائلاً: لا تقلق فزّر هذه القنبلة تحت إصبعي. فقط لضمان ألا يحدث مكروه لِكَلِينَا. ثم أضاف: إذا انفجرت القنبلة فلن ينفجر مكعب الماء المضاد. على الرغم من أنه لايعرف على وجه الدقة ماذا سيحدث للمكعب إذا ساءت الأمور وانفجر.

فقال القائد بعد أن علت وجهه ابتسامة خبيثة: لم نتفق على هذا. فرمقه الزوج بنظرة حادة وقال: فقط تأكد مما في يدك بأنه ما تريد. وابدأ في تحويل المبلغ إلى البنوك التي سأعطيك إياها ثم سيذهب كل منا إلى شأنه.

نظر القائد إلى مساعده ذي الملامح الأوروبية وأعطاه المكعب ليوصله بدوره إلى مجموعة يبدو أنهم علماء من ملابسهم البيضاء المقنعة ينتظرون بجوار سيارة سوداء تبعد عنهم حوالي 10 أمتار. وقال له ساخرًا: هذا ما كنت تُطلق عليه ساذجًا أليس كذلك.

وضعوا المكعب في جهاز متصل بكمبيوتر محمول لتحليل محتواه وبعد خمس دقائق مضت كأنها ساعات من القلق والتوتر، اقترب المساعد من القائد وأسَرَ إليه بكلام فتبسم ثم أجرى اتصالاً هاتفياً بكلمات مقتضبة تهللت على أثرها أسارير وجهه. ففهم الزوج أن كل شيء يسير على ما يرام.

وأعطى القائد إشارته لبعض جنوده بحوذتهم أجهزة كمبيوتر محمولة بالبدء في تحويل المال بعد أن أعطاهم الزوج أسماء ثلاثة بنوك سيويسرية. بينما الزوج يراقب سير عملية التحويل من خلال جهاز الكمبيوتر الخاص به. وبعد خمس دقائق تم الانتهاء من عملية التحويل، وما أن اطمأن الزوج إلى انتقال المال إلى حساباته البنكية التفت مسرعًا واختفى عن الأنظار.

كان منتشيًا يريد الصراخ بأعلى صوته: أنا الآن من أغني الأغنياء غير أنني أمتلك أربعة مكعبات أخرى.

* * *

كانت هي الشرارة الفعلية للبدء

علم جهاز المخابرات بإتمام الصفقة فأسقط في أيديهم وزُفِع الأمر إلى الرئيس لاطلاعه على آخر التطورات فتضرج وجهه غضبًا دون أن ينبس ببنت شفة. وعلم بحدوث الفاجعة لا محالة وتيقن أن العالم بالفعل على أعتاب حرب عالمية ثالثة وأخيرة إلا إذا أدركتهم عناية الله. فدعا لانعقاد مجلس أممي مصغر لأخذ كافة الإجراءات والتدابير الوقائية للتقليل من أثر الكارثة التي اشترأبت نُذرها.

ولم يعد أمام أجهزة الأمن المصرية سوى التعلق بالقشة الأخيرة وبالأمل الذي يبدو خافتًا فربما يخبأ لهم القدر طوق النجاة في آخر لحظة، فقامت بإبلاغ أجهزة الدول الكبرى بالطامة التي ستحدث. ربما استطاعوا فعل شيء قبل فوات الأوان. ولم يستطع الرئيس الجلوس في مكانه مقيّدًا فاستدعى أنس عليه يكون لديه أي أفكار لمنع الكارثة أو حتى التقليل من آثارها إذا استطاع. فطلب إمهاله 24 ساعة للتفكير وبحث الأمر، فصرخ الرئيس بوجهه: أخشى أننا لا نمتلك دقيقة واحدة، سأعطيك ساعتين على الأكثر، وربما لا نملكهما أيضًا، فنحن لا نعلم موعد الكارثة، وقد تقع في أي لحظة

ولا نعلم متى وأين وكيف ستضرب هذه الجماعة المتطرفة؟! وانسحب أنس بعد أن استأذن وخيم الصمت على الجميع.

ثم قال الرئيس بصوت هادئ بعد أن أشاح بوجهه: سنكون مسئولين أمام أنفسنا وأمام الله إذا حدث ما نخشاه. وجلس الجميع ينتظر أنس لعله يتمكن من فعل شيء في اللحظات الأخيرة فمن يدري؟

ثم استدعاه الرئيس بعد مُضي ساعتين بالتمام، فلما نظر إليه علم بكل شيء فتعاير وجهه أبلغ من أي مقال، فأشاح الرئيس بوجهه مُغَضَّبًا وطأطأ الجميع رؤوسهم، ثم قال أنس: أخشى ياسيادة الرئيس استحالة تتبع الماء المضاد دون وضع المكعب في آلة وفتح مسار، ومن المستحيل معرفة مكانه دون تشغيل الآلة، وصمت قليلاً بعد أن طأطأ رأسه هو الآخر ثم قال بلهجة ملؤها الحزن: أنا في غاية الأسف، ومستعد لأي محاسبة. فحذجه الرئيس بنظرة غاضبة كادت أن تمزقه، ولم يستطع أنس أن يرفع بصره، ثم أضاف الرئيس بنبرة هادئة بعد أن أشاح بوجهه بعيداً: .. لا لا.. لا أحد سيحاسب الآن فيوم الحساب قد دنا من الرؤوس وسنحاسب جميعاً أمام الله في القريب العاجل على ما اقترفناه، فلا تتعجل الحساب فهو قادم قادم لا محالة.

بعد مرور أسبوع كانت هي الشرارة الفعلية للبدأ استيقظ العالم فزعاً على انفجار هائل هزَّ أركان الكرة الأرضية يقع مركزه في ولاية ألاباما الأمريكية، واختفت ثلاث ولايات نتيجة هذا الانفجار الهائل كأنها لم تكن: ألاباما والميسيسي وجورجيا. اختفوا كأنما ابتلعهم المحيط.

دبَّ الرعب والفرع في أرجاء الكرة الأرضية. وظل العالم ينتحب ذلك اليوم، وأخذ يترقب ماذا سيحدث. هل اقترب يوم الحساب؟ بعد ساعات وصلت معلومات إلى وكالة المخابرات الأمريكية "سي أي إي"، تفيد بضلوع الروس بصورة مباشرة في هذا التفجير؛ فقد سهلت المنظمة المتطرفة التي حصلت على مكعب الماء المضاد تقديم معلومات مضللة لـ "سي أي إي" تفيد بأن مجموعة روسية وراء ما حدث. بعد أن استطاعت التغلغل على مر السنين داخل معظم أجهزة الأمن الأمريكية حتى وصلوا إلى المراكز الحساسة في الدولة. لقد أرادت ظهور الأمر كأنه من تدير الروس وتم لهم ما أرادوا.

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية الاستعداد بكل ترسانتها النووية، وتم توجيه الصواريخ المحملة برؤوس نووية باتجاه روسيا. وفشل الروس في إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بعدم تورطهم في التفجيرات. وبالتالي استعد الروس أيضاً بأسلحتهم النووية للدفاع عن أنفسهم ضد أي عدوان بعدما رأوا أن الأمر لا مفر منه.

تدخلت المخابرات المصرية، وأوصلت كل ما تملك من معلومات لكلا الطرفين، فتراجعت الولايات المتحدة خطوة إلى الوراء، وأعطت الأمر لأجهزتها الأمنية لإعادة جمع المعلومات بدقة أكثر بناءً على المعلومات القادمة من المخابرات المصرية.

في ذلك الوقت بدأ الجميع في تجهيز الملاجئ ضد القنابل النووية. وبعد مرور 24 ساعة من وصول المعلومات لكلا الطرفين، بدأت تظهر دلائل ضعيفة لدي السي أي إي، تشير إلى أن الروس ربما لم يتورطوا بصورة مباشرة في

هذه التفجيرات، وبدأت الأمور تأخذ مجراها بطريق التهذئة ورفع الجميع أياديهم عن زر إطلاق آلة الحرب، وبدأت جميع الدول تتكاتف مع الولايات المتحدة لتقديم يد العون لمواجهة الآثار الكارثية الناتجة عن الانفجار، ودعا الرئيس إلى إجتماع عاجل لبحث آخر التطورات وقال: لقد بدأت الولايات المتحدة الآن تفكر بعقلانية أكثر بعد أن بدأت تهدأ وقلَّ تشنُّجها، وبدأت أجهزتها الأمنية تعمل في ضوء المعطيات الجديدة بعد تدخلنا في الوقت المناسب، أما روسيا فلم يصدر عنها أي رد فعل سوى أنها أعلنت تضامنها، وأبدت استعدادها لمساعدة الولايات المتحدة في الوقوف ضد الإرهاب الغاشم، ثم التزمت الصمت وأنا أرى أنها بادرة طيبة وبارقة أمل تبزغ من وسط ركाम اليأس لتمدُّنا بالقوة لمواصلة جهودنا في الوقوف ضد قوى الظلام، ولكن مهمتنا لم تنتهِ بعد فسنسعى بكل قوانا لإيقاع هذه العصابة لاسترداد المكعب فتمتم أنس بعد أن تهللت أساير وجهه: الحمد لله لقد تجاوزنا مرحلة الخطر. ثم قال الرئيس هيا، فأمامنا الكثير لنقوم به لعلنا نُرجع الأمور لنصابها. وما إن انتهى من كلامه حتى دخل عليهم أحد الحراس وهو يهرول ويصرخ: التلفاز، أدر التلفاز لقد وقعت مصيبة. لقد حدث مالم يكن في الحسبان، هزَّ انفجار ضخَّم قلب العاصمة الروسية موسكو. كانت هذه الضربة هي الشرارة الفعلية للبدأ. لم ينتظر الروس دقائق حتى أطلقوا ثلاث صواريخ محملة برؤوس نووية باتجاه الولايات المتحدة واشتعلت حرب ضروس قضت على الأخضر واليابس.

وانقسم العالم إلى معسكرين لا ثالث لهما. الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وكوريا الجنوبية ودول الخليج، وضم المعسكر الآخر روسيا الاتحادية والصين وكوريا الشمالية والهند ومصر وسوريا والعراق وليبيا.

لم يكن هناك مكان لدول محايدة، والحرب قد طالت الجميع، وأصبحت المعركة معركة فناء وليس بقاء. وامتألت الملاجئ وقتل معظم الأحياء.

وبعد ثلاثة أشهر من بدء الشرارة الأولى آذنة باشتعال الحرب الكبرى، كانت الأرض أشبه ماتكون بكرة مبسوطة غير واضحة المعالم تنفث الدخان من كل مكان. دُمر كل شيء فأصبحت لا يُرى بها مساكن أو بشر. انتهت معظم الكائنات الحية. دُمرت الحضارات التي بنيت على مدار آلاف السنين التي شيدها الإنسان حتى دمرها الإنسان. أغلب دول العالم أصابتها وبالات وويلات الحرب أصبحت الأرض خاوية حتى من عروشها كأن لم يسكنها حي قبل ذلك. إلا قلة قليلة من البشر استطاعوا النجاة وياليتهم قضوا، لم يتجاوز عددهم بضعة آلاف. تفرقوا في أنحاء العالم هنا وهناك لا يكاد يُرى لهم أثر.. هؤلاء كل من نجوا من البشرية. ولن يستطيع أحد أن يجزم بأنهم نجوا بعدما أصيبت خلاياهم بشذوذ أحالتهم أشباحًا يتمنون في الأرض وتمنوا جميعاً أن لو قضوا نَحَبَهُم.

عندما أيقن أنس أن الكارثة لامفر منها واقعة لا محالة، قام بتشييد ملجأ صغيراً ضد الإشعاعات النووية أسفل بيت الغنم يسع ثلاثة أفراد. ظن أنه يستطيع حماية أخته فاطمة وأخيه محمود، لكن الدمار قد طال الجميع إلا القلائل تُعساء الحظ ، كان أنس من بينهم.

أزاح أنس جدار الملجأ بعدما تأكد أن الكارثة قد انتهت، وما إن خرج ليجدها قد حلت وجثمت على الأرض لم يستطع التعرف حتى على بقايا قرينته. ظل يسير بين الدمار عله يجد أحداً سيء الحظ مثله قد نجا..

فلم يجد أي كائن يدب فيه الحياة، لا إنسان لا حيوان لا نبات، ذهب كل شيء.

فوقف على تلال عالية من آثار الكارثة ينظر ويشاهد حجم الدمار الذي تسبب به. رفع يديه أمام عينيه وأخذ يردد "هذا ماجنته يداي هذا ما جنته يداي". لقد صَنَعَتْ آلة لإفادة البشرية فاستخدموها لإفناء البشرية لطالما كان هذا هو دأبهم.

هناك روايات أخرى ممتعة، إذا أردتها، فقط أرسل لي موقعك على خطوط الطول وخطوط العرض تصلك في أي مكان في أقل من ثانية.

تَمَّتْ

* * *





جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



Email: layanpub@gmail.com layanpub@yahoo.com

ت: 01282288056

6 شارع التحرير بالدقي، بجوار محطة مترو البحوث، الدور 19، شقة

رقم 2002